٥٦٣
563
HARLEQUIN
دار الفرسان

www.elromancia.com

مرمورية

وعندما اقبل الصباح

دافن كلير

وعندما اقبل الصباح

دافن كنير

كان عمل امبير في معرض الفنون في سيدني، يتطلب كل وقتها وتفكيرها، ولا يترك لها وقت لأي شيء آخر أو لأي انسان.

خاصة الفنان الملتحي، والمتقلب المزاج جويل ماتسون، كانت ترد رسوماته... ليس اهتمامه الشخصي، لكنه اصر على ان يخفف من حدة طباعها.

كما ان الهامة الفني اظهر جمال وقساوة اوستر الياه كذلك تمكنت عيناه من رؤية الحواجز التي وضعتها امبير لمواجهة العالم. هل خوفها من الحب سيبعد عنها الرجل الوحيد التي تمنته بصدق طوال حياتها؟

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ١ درهم مغربي - سلطنة عمان ١ ريال - تونس: ٢ دينار

نعم، لقد قبلها!

«لن تقولي لي ان لا دور لك في ذلك.»

«انت من قام بالقبلة!»

قال جويل بغضب: «لقد ساعدت بذلك.»

«لا تقرأ الكثير من خلالها.»

قالت وهي تحارب مخاوفها: «احتفال غريب، على شرف معرضك.»

«هل تحتفلين هكذا مع كل الفنانين؟»

«بالطبع لا!» طوال حياتها لن تستطيع التفكير بأية كلمة أخرى لتضيفها.

عندها ابتسم، وقال: «أمر جيد.» ابعد يديه وتحرك ليبتعد عنها: «لم افكر بغير ذلك مطلقاً.»

دافن كلير

ولدت في اوستراليا وعملت بعد نيلها الشهادة العليا صحفية في احدى الصحف المحلية وفيما بعد تزوجت زميلاً لها في العمل وانجبت منه ثلاث فتيات. هوايتها المفضلة هي السفر بالاضافة الى الكتابة والتمشي على شاطىء البحر الذي يساعدها على كتابة الروايات بين احضان الطبيعة. ومازالت حتى الآن تعيش في سيدني مع زوجها وبناتها الثلاث وحيواناتها الاليفة في منزل واسع تحيط به الحدائق المليئة بشتى انواع الزهور.

٥٦٣

خلوب

khouloub Abir 563

وعندما اقبل الصباح

دافن كلير

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elroyaya.com

الفصل الأول

كان الحر الشديد يلف مدينة نيويورك، والسماء الملتهبة تغطي المدينة بلونها الأحمر الناري بالاضافة إلى حرارة المكيفات التي تنفثها السيارات المزدحمة في الشوارع. اصطدمت أمبير برجل قادم من الناحية المقابلة كي لا تضرب بعربة يتدلى منها صفوف من السجق. وكادت ان تتعثر بالحاجز الحجري الذي يمر بوسط الشارع المليء بمئات السيارات، اسرع الرجل بالامساك بها كي لا تقع.

قالت: «شكراً، اني آسفة.»

قال ببرودة: «اعتني بنفسك الآن.» رامقاً إياها بنظرة ناقدة وهو ينظر إلى حذائها ذي الكعب العالي، قبل ان يتابع طريقه.

فكرت، هؤلاء هم سكان نيويورك دائماً على عجلة من امرهم، ويتميزون بالثقة بالنفس والتي يراها البعض نوعاً من التهور، ومع ذلك قد يظهرون في بعض الاوقات اهتمامهم بالغرباء. لقد نسيت كم من المرات قد قال لها اشخاص عن حسن نية، ملاحظين لهجتها النقيضة عنهم... مع ان معظمهم فكروا انها انكليزية الجنسية...ان تهتم بنفسها وتنتبه لامتعتها ولحقيبة يدها. لكن لم تكن هذه زيارتها الأولى وكما حدث لها في المرات السابقة، فهي لم تواجه أية حوادث تذكر.

بل هي على العكس تحب سرعة الحياة وضجتها في نيويورك وحتى الحرارة لا تجدها مزعجة. فالصيف في بلدها حرارته تسلق الابدان، أيضاً شعرت بالراحة عندما وصلت إلى مكان مبرد وهادىء، انه معرض الفنون آبيل غايت، في الداخل كان هناك ردهة واسعة، أرضها رخامية وابوابها الواسعة للمعرض مفتوحة لاستقبال الضيوف.

رأت قفصين على جانب الغرفة مكوم عليهما عدد من اللوحات، ومجموعة من الرزم رميت على الأرض بجانبهم. كان هناك رجل على السلم يعلق صورة من غير اطار مباشرة امام الباب، ويرتدي قميصاً زرقاء باهتة اللون وبنطلوناً من الجينز.

تطلعت إلى كتفيه العريضين وشعره الأسود الاشعث والذي يصل إلى ياقة قميصه. اعتقدت انه بلا شك احد مساعدي هاري. ما ان اقتربت اكثر حتى ادار رأسه، وهو لا يزال يمسك باللوحة. قال وهو ينظر اليها بغير اهتمام: «لن يفتح المعرض قبل الساعة الخامسة، عودي بعد مرور ساعتين.»

قالت وهي تتقدم داخل الغرفة الواسعة: «يتوقع هاري حضوري.» لم تتمكن من رؤية كامل اللوحة بسببه، لكنها كانت ترى بوضوح الألوان الساطعة فيها ممزوجة باللونين الاسود والأحمر، لم تجدها تتضمن الميزات المتعارف عليها لأعمال ماتسونز والتي اصبحت ذات شهرة عالمية.

كان هناك لوحات أخرى معلقة على الجدران، وتحمل ارقام بجانبها، شعرت بمجرد نظرة سريعة عليهم ان عليها

التوقف بجانب كل واحدة ودراستها عن كثب، فالمجموعة كلها رائعة، لكنها كانت تعرف ان جويل ماتسون فنان ماهر... فمجرد وصول بعض لوحات له إلى موطنه الاصلي اوستراليا، حتى رأت الكثير من النجاح والشهرة في جميع مجلات الفن التي كانت تصلها باستمرار من اميركا.

رفع الرجل زاوية اللوحة قليلاً ومن دون ان ينظر اليها سأل: «هل هي مستقيمة هكذا؟»

تطلعت أمبير بعين متمرسة: «اجل.»

«حسناً.» ادار السلم وبلحظة قفز على الأرض، ثم استدار ليواجهها. كان اطول بكثير مما توقعت، وشعرت برغبة قوية ان تبتعد عنه. هز رأسه بقوة ليبعد الشعر المتدلي على جبهته وعينيه، وبعد ذلك وقف يحدق بها.

شعرت أمبير بالتوتر، كان ينظر اليها بغير استلطاف، وعيناه تتنقلان من قميصها باللون الكريم إلى سترتها الحرير والتنورة التي تبديها كسيدة اعمال وهي تعلق حقيبتها الجلدية على كتفها. بعدها انتقل بعينيه كي ينظر إلى حذائها قبل ان يعود إلى وجهها، وشعرها الأحمر الذي يحيط به. تخيلت ان نظرته فيها شيء من عدم الاعجاب، ومع انه هز رأسه قليلاً قبل ان يقول: «هاري يتوقع حضورك؟»

نظرت إلى ساعتها: «قال لي استطيع الحضور في أي وقت بعد الساعة الثالثة.» رأت ان الساعة قد تجاوزت الثالثة بخمس دقائق.

اضافت بصوت ناعم لكن بحزم: «انني أمبير وينيارد، ربما يمكنك اخباره انني هنا؟» كان وسيماً جداً ومجرد

النظر اليه يجعل قلب المرأة يضطرب، ومن الواضح انه يعلم ذلك. فلقد شعرت ان ليس هناك ما يشغل باله غير الاعتداد بنفسه.

ما ان انشغلت بالتفكير به، حتى تغيرت نظرة الرجل، اذ شعرت انه يحمل انطباعاً متفاجئاً مع قليل من الفرح، قال: «بالتأكيد.» ومن غير أن يتحرك من مكانه، ادار رأسه قليلاً وقال: «هاري يوجد سيدة هنا تريد مقابلتك!»

من دون ان تحرك عينيها لاحظت التشديد في كلامه. هزت رأسها وقالت بلهجة جافة: «شكراً لك.» ثم استدارت مبتعدة عنه قليلاً ووقفت تنتظر حتى ظهر هاري غايتس من باب في احدى زوايا المعرض، اسرع الخطى ليقطع المسافة بينهما في حين بدأت بالسير نحوه. وعلى عكس مساعدته تماماً، كان هاري بكامل اناقته يرتدي بدلة وقميص مع ربطة عنق تناسب ثيابه.

مد يديه وضمها اليه: «أمبير! تبدين رائعة!»

«لا، على العكس تماماً.»

استدارت أمبير بصورة تلقائية لمواجهة الرجل الذي يقف وراءها في حين ابعد هاري يديه عنها.

قالت بصوت بارد كالثلج: «استميحك عذراً؟»

«لم يكن عليك ارتداء هذه الثياب الباهتة اللون.» لقد كانت محقة بتقديرها لنظرته المستهجنة، لأن تلك العينين البنيتين كانتا ناقدتين بشكل واضح. «انها لا تناسبك ابداً.» اضاف، وكأنه غاضب: «التيتيان سيغضبون من قصة شعرك.» اقترب منها وشعرت أمبير انه كبير جداً وانها بذلت جهداً كي لا تتراجع مبتعدة عنه. قال بنعومة: «الذهبي

الأحمر.» نظر اليها بتركيز. «ذلك اللون الذي عملوا عليه كثيراً حتى اخذ هذا الدفء باللون.» وتابع مستهجناً: «لكن لماذا هو قصير؟»

اجابت ببرودة: «هكذا ابرد.» وهي تذكر نفسها ان هذا لا يعنيه. كانت ستقول له ذلك عندما انفجر هاري ضاحكاً.

قال معترضاً: «جويل! يجب ان لا تقول مثل هذا الكلام لأمبير. فأنتما لم تلتقيا الا الآن... اعتقد انكما تعارفتما؟»

لم تتفاجأ أمبير، الشعور الغامض الذي احست به اخبرها قبل ان يلفظ هاري ذلك الاسم. القاسي جويل ماتسون رسام ذو لمسة ماكرة.

اجفلت وهي تقول: «ليس بالتحديد.» ومدت يدها التي غطتها يد ذات لمسة ناعمة بالنسبة إلى حجمها اضافت تكلم هاري: «لم يقل لي السيد ماتسون عن اسمه.»

ترك يدها وهو ينظر اليها مستفهماً: «اسمي جويل، هل تريدين مني ان ادعوك آنسة وينيارد؟»

حاولت ان تبدي لهجتها هادئة، مع ان صوتها كان جافاً: «لا، بالطبع لا.» شعرت ان جسدها أيضاً اصبح متوتراً، وحاولت بصعوبة ان تهدأ نفسها.

تحرك هاري منزعجاً، فنظر جويل اليه، حرك فمه متضايقاً وهو يقول: «يخشى هاري ان اكون قد ازعجتك.» عاد لينظر اليها ويسألها بجدية: «هل انزعجت مني؟»

اجابت أمبير: «انني اتعامل مع فنانين منذ سنوات خلت.»

نظر إليها بقسوة اكثر، كانت عيناه تبحثان في اعماق عينيها الخضراوين قال: «حقاً، لكنني كنت اقول الحقيقة،

هل تعلمين. إنه أمر مؤسف، يمكنك ان تكوني فائقة الجمال.»

تراجعت بصعوبة على قول ذات الكلام لو انه يحلق ذقنه ويهتم قليلاً بنفسه، عوضاً عن ذلك قالت: «لا رغبة لي على الاطلاق ان اكون فائقة الجمال. شكراً.»

كانت تريد ان تبدل الحديث لأي موضوع آخر عندما سألها جويل: «لماذا؟»

قالت: «لا اعتقد ان علينا الخوض في هذا الموضوع الآن، لقد اتيت إلى هنا لأرى اعمالك.»

بدا عليه انه يريد مناقشة ما تقوله، لكن نظر اليه هاري بطريقة افهمته ان عليه اقفال الموضوع وقال بسرعة: «لقد طلبت من أمبير الحضور باكراً لتنظر إلى اللوحات قبل وصول المتفرجين، لكن كما ترين، أمبير لم ننته بعد من تعليق كافة الصور، لن تمانعي ان تحدثنا فيما بعد؟»

حركت يدها بخفة، فسار معها إلى الحائط بجانب الباب الرئيسي ووضع دليلاً بيدها: «اعلم انك تفضلين التجول بمفردك. واذا عذرتني سنعلق بعض اللوحات المتبقية فجويل يحب ان يفعل ذلك بنفسه... أو على الأقل ان تكون له الكلمة الأخيرة في موضع كل لوحة.»

ابتعد هاري عنها فأخذت أمبير تكتشف المعرض ببطء وروية، محاولة ان تتجنب النقاش الدائر حولها. كان يسهل عليها ذلك دائماً، لكن رأت ان هناك شيء خاص في صوت جويل ماتسون يمس احساسها، مع ان الكلمات التي كانت تقال لا تتعدى... «ارفعها قليلاً، هكذا؟ هذا جيد؟ حسناً،

لننظر اليها؟ همم، ربما تلك اللوحة يجب ان تكون في المكان المقابل، بعد كل شيء...»

عملت امبير على التركيز على اللوحة الموجودة امامها، فمن النظرة الأولى رأت انها واضحة الجمال تمثل حوضاً من الزهور الحمراء، رسمت بريشة فنان ماهر. اثنان من الزهور لونت باللون الأحمر الداكن... وسقطت من احداهما وريقة تشبه بقعة من الدماء على صحيفة... كل الحقيقة. وعلى الصحيفة المطوية العنوان الرئيسي مزيد من ضحايا الحروب في...

كان اسم البلد مطوي، لكن أمبير انحنت لتقرأ الأحرف الصغيرة، كانت الرسالة واضحة للعالم اجمع. وهذا عمل دائم لماتسون، لكن مثل كل اعماله كل لوحة لها ميزتها الخاصة. يستمد موطن قوته من الحياة اليومية. ويطغي عليها جمالاً فنياً موشحاً يصور الألم والقوة، منتجاً حالة فريدة تجعل النقاد يعلقون على اعماله كاعمال سياسية في المجتمع، أو تتحدث عن مشاكل الانسان في العالم، كما يراها ماتسون مع ان هذا الفنان يرفض ان يتحدث عما تعني اعماله.

رسمت لوحة أخرى على صفحة جريدة، تظهر مشاهد من الحياة وعليها زهور سوداء وحمراء ذات اغصان طويلة، وتظهر من خلالها تقرير عن مرض للزهور، وبعض الصور لحفلة اجتماعية ودعاية لمنزل مميز. وعندما حاولت ان تبتعد عن صورة اكتشفت في زواية معينة منها ان الاغصان السوداء تشبه الحواجز والزهور والبراعم التي اصبحت فجاة كاصابع ممتدة، عندها توقفت لتنظر ثانية.

انتهى الرجلان من عملهما، فأخذا يجمعان الأوراق. سمعتهما يغادران عندما كانت تقف امام لوحة كبيرة على الحائط المقابل للباب. الألوان المنعكسة في احدى زوايا اللوحة، الأحمر الفاتح وتحته انوار من الزهر والأزرق يضمهم جميعاً حاجز من اللون الأخضر. وشيء يشبه الاغصان ولو بشكل غامض وبسرعة يتحول اللون في قعر اللوحة إلى مزيج من الأسود والأحمر الداكن مع بعض اللمسات البيضاء. كذلك هناك ورق متناثر من صحيفة على الأرض.

همس جويل ماتسون في اذنها، جعلها تقفز: «انك قريبة جداً، ابتعدي قليلاً.» ابتعدت عن اللوحة، ونظرت ثانية اليها، اللمسات البيضاء في اعلى الصورة اصبحت زهوراً حمراء تتناثر مع الريح. الخطوط والظلال وراءهم تمثل اجساداً ميتة، واسلحة قديمة مختلطة مع وجوه واعضاء بشرية. نكرتها اللوحة بعمل ادفيرد مانش (الصرخة) شعرت بان معدتها تتقلص من الاضطراب.

نظرت إلى الدليل الذي تحمله بيدها. وعلمت ان هذه اللوحة تحمل اسم فلاندرز.

سألت وهي تحاول ان تخفف من تاثير اللوحة عليها: «هل كنت يوماً في اوروبا؟»

«السنة الماضية، لكن جدي حارب في الفلاندرز في الحرب العالمية الأولى. ولقد اخبرني الكثير عنها، عندما كنت طفلاً، عن الخنادق والمعارك، لقد مات كل افراد فرقته من حوله. ومات اعز صديق لديه بجانبه... وساعد في وضع جثته في كيس. الآن اصبحت الأرض بستان زهور وحقول

ذرة... لكنك تشعرين مع ذلك وكأنك تسيرين على جثث القتلى.»

قالت بصوت أجش: «انها جيدة، كل اللوحات رائعة.»

نظر اليها وكأنه يسخر منها: «شكراً.» لكنها كانت تنظر إلى الدليل. فسأل: «أنت صديقة خاصة لهاري؟»

رفعت أمبير عينيها اليه لتفهم مغزى كلامه: «لست صديقة خاصة، لكننا نعرف بعضنا منذ زمن طويل.»

«إذن كيف تفسرين حضورك السابق للجميع؟ هل انت ناقدة؟»

«ألم يخبرك هاري؟» لقد اعتقدت ان هاري قد اخبره انها تعمل في حقل الفن قالت: «املك معرضاً في سيدني.»

ظهر الاهتمام في عينيه: «هل ترغبين بالشراء؟» قبل ان تتمكن من الاجابة، عاد هاري اليهما يرتب ربطة عنقه باحدى يديه، ويصفف شعره بالثانية قال: «من الأفضل ان تذهب، يا جويل.»

بدا على جويل الاستغراب: «ماذا؟»

قال هاري محرجاً: «لن تظهر هكذا في الافتتاح، أليس كذلك؟»

نظر جويل إلى ثيابه مستغرباً، قال متفهماً: «سابدل ثيابي اذا كنت ترغب.»

قال هاري: «بالطبع ارغب، وكذلك كل الزوار. هل يمكنك العودة عند الافتتاح؟»

«بالطبع، لكنني لست مجبراً لأضع ربطة عنق، اليس كذلك؟»

قال هاري بلطف، محاولاً ان يخنق تنهيدة صدرت عنه:

«ليس بالضرورة، يكفيني ان ترتدي قميصاً وبنطلوناً نظيفين ومكويين جيداً.» اضاف قائلاً: «وكلسات.»

قال جويل: «كلسات.»

«وحذاء نظيف وبالتحديد ليس هذا الحذاء الرياضي.»

فكرت أمبير انها شاهدت بعض المرح في عيني جويل، لكنه قال برزانة: «حذاء، لست متأكداً انني املك حذاء.»

قال هاري بلهجة آمرة: «اشتري واحداً.»

كرر جويل وكانه طفل ليس عليه الا الطاعة: «اشتري واحداً.» ضحك وهو يستدير ليغادر. وعندما وصل إلى الباب وقف لينظر إلى أمبير وسألها: «ستبقين هنا حتى الافتتاح؟»

«نعم.» فهي لم تحظ بفرصة الكلام معه ومع هاري حول امكانية اقامة معرض له في سيدني. بجانب ذلك، لا احد يعلم كم من الاتفاقيات المهمة تحدث مع المقبلات اللذيذة والشراب المميز في تلك الافتتاحيات. هز جويل رأسه: «جيد!» قال ذلك بحرارة وغادر.

تعجبت من احساسها الغريب بالفرح من سؤاله عن بقائها لدى عودته قالت أمبير لنفسها انه يريد منها البقاء ليضمن اهتمامها بلوحاته. والتي هي رائعة، بكل الاحوال اهتمامها الوحيد به كان لأنه فنان بارع... فشخصيته لا تعني لها اطلاقاً مع ذلك... تابعت تجوالها في المعرض... فالرجل بلا شك عبقري بما يفعله. سألها هاري: «ما رأيك بهذه الأعمال؟»

اجابت: «رائعة، لقد كنت محقاً، قد يتظاهر بانه ساذج أو فظ لكنه يعلم مدى قدرته عندما يمسك الفرشاة.»

اعترض هاري بلطف: «انه ليس سيئاً، غير تقليدي قليلاً، لكن كل الفنانين هكذا؟»

هزت أمبير كتفيها: «على كل حال يستطيع الرجل ان يرسم بمهارة.»

«لم اخبره بعد انك تفكرين في اقامة معرض له.»

«أوه؟»

«حسناً، قد يكون... صعباً قليلاً، لقد اعتقدت ربما يهون الأمر عندما تتقابلا وتتعرفا اكثر، ارأيت كيف أثرت اهتمامه.»

قالت بضيق: «لم يحدث هذا، لكن مازلت افكر باقامة عرض للوحاته.» تطلع هاري حوله: «بالطبع فربما سأبيع كل هذه...»

«هل بعت يوماً كل اللوحات في معرض ما، هاري؟»

نظر مرتبكاً، فسألت أمبير: «هل يعمل بسرعة؟»

«لا اعلم، اساليه.»

اعترفت أمبير: «اعتقد ان اللوحات الزيتية كلها ستباع، لكن ان كان بامكانه انتاج المزيد من هذا النموذج...»

«لديه اعمال أخرى في الاستديو. هذه فقط بعضها.»

«هل هي الافضل؟»

«كل شخص له رأيه، بالطبع.»

«أجل، بالطبع، احب ان أرى تلك اللوحات أيضاً.»

قال هاري واعداً: «سأحاول ان احدثه بذلك.»

«اعتقد انه سيفرح لهذه الفرصة، بالتاكيد؟»

فمن خلال خبرتها، معظم الفنانين يحاربون لأجل الحصول على معرض خاص بهم.

هز هاري رأسه: «انت تعلمين، انه كتوم قليلاً.»

«اعلم انه لا يقدم على مقابلات صحافية، لكن عليه ان يتكلم مع التجار.»

قال هاري بحذر: «احياناً، لكنه لا يسمح لأحد ان يدخل الاستديو الخاص به.»

فكرت أمبير باذعان، ذلك الرث الثياب الأخرق هو المغرور.»

قال هاري بمرح: «لكنه يبدو انه معجب بك.»

قالت أمبير: «لا يمكنك خداعي، الم تسمعه كيف انتقد مظهري؟»

«انه فنان.»

فكرت أمبير، انه عذر سخيف، لكنها لم تقل ذلك بصوت عالٍ، فمن الواضح ان هاري حاضر ليبرر تصرفاته، وهي كذلك مستعدة للتحمل للقيام بمعرض جيد. لكن هذا لا يعني، بكل الاحوال، انها ستعجب بجويل ماتسون كرجل.

• • •

بدأ الناس يتوافدون إلى المعرض ويجولون في ارجائه قبل ان يصل الرسام. كانت أمبير تقف مديرة ظهرها للباب، وتحمل بيدها كوب شراب وتتبادل الحديث مع صحافية شابة عندما نظرت المرأة باهتمام من فوق كتفيها وبقيت كذلك لعدة لحظات.

قالت اخيراً لأمبير: «انه هو ماتسون أليس كذلك؟»

استدارت أمبير ببطء وقالت: «نعم، انه هو.»

لم يتغير كثيراً، لكن مما لا شك فيه اصبح افضل. قميصه

مناسبة جداً للبنطلون الجينز الغامق اللون مع حزام جلد له عقدة فضية، لقد حلق ذقنه ايضاً وسرح شعره، مع ان بالنسبة لأمبير مازالت تراه طويلاً، لكنه مما لا شك فيه كان محط اعجاب المرأة الواقفة إلى جانبها.

التقت عيناه بعينيها، وبسرعة ابعدت نظرها عنه.

قالت المرأة الأخرى، والاهتمام ظاهر في صوتها: «انه قادم نحونا، هل تعرفينه؟»

قالت امبير: «لقد تقابلنا بعد الظهر.» ولاحتست من شرابها لأنها شعرت بحاجة لذلك.

مدت يد كبيرة لتمسك بكوبها الفارغ، قال جويل: «دعيني احضر لك المزيد.»

تمتمت دون ان تنظر اليه: «شكراً لك.»

قالت الصحافية: «انك من دون شك ضيف الشرف.» وبشوق قدمت نفسها اليه، وهي تصافحه بحرارة.

امسك جويل بيدها وابتسم لها: «تريدين كوباً آخر، انت ايضاً.»

«آه، لا، بالكاد شربت القليل من كوبي، لكنني احب ان اتحدث معك.»

قال ببساطة: «بالتأكيد، ولكن بعد قليل.» ابتسم ثانية وعيناه تنمان عن اعجاب خفيف، ترك يد المرأة وهو يقول واعداً: «سأقابلك ثانية.»

لاحظت أمبير انه لم يعترض على مظهر الصحافية كما فعل معها. بل على العكس، كان معجباً بها.

بعدها شعرت بيد مسيطرة على معصمها، بعدها قال جويل وهو يسير معها في الغرفة: «ماذا كنت تشربين؟»

«ليموناضة، أليس هذا شراب الجميع؟»

اجاب: «لا، لكنني احب الليموناضة كثيراً.»

«يسعدني انك تتوافق مع شيء ما يخصني.»

أجاب متجاهلاً السخرية في صوتها: «هناك الكثير الذي يعجبني فيك. احب شعرك وصوتك، وهاتين العينين الخضراوين، كما انك تملكين ساقين جميلتين... حسب ما أرى...»

قالت: «يمكنك التوقف عن الكلام حالاً، لقد قلت انك لا تحب شعري.»

«احب لونه، لكن لا احب هذه التسريحة، وهذا أمر يسهل تعويضه يمكنك ان تتركيه حتى يصبح طويلاً رائعاً.»

قالت بغضب: «لا نية لي اطلاقاً في تطويله، من اجلك أو من اجل أي رجل كان!»

توقف عن متابعة سيره ونظر اليها مستفهماً: «ماذا فعلنا لك نحن الرجال؟»

بدا وكانه ينتظر جواباً لسؤاله، زفرت وهي تقول: «الا تعلم كيف تتابع حديثاً عادياً؟»

«وما الذي غير عادي في حديثنا؟ انني مهتم بك.» حدقت أمبير به بحيرة.

سألها: «الا تشعرين بنوع من الاهتمام حيالي؟»

وجدت أمبير أخيراً صوتها: «انني مهتمة فقط بعملك. ولقد اعتقدت انك ستجلب لي المزيد من الشراب.»

ابتسم وقال: «سافعل، لا تذهبي.»

وفي الوقت الذي عاد فيه يحمل كوبين من الليموناضة كانت أمبير قد سيطرت على توازنها. بدأت التكلم وصوتها مرتجفاً بوضوح: «بالنسبة إلى اعمالك...»

قاطعها قائلاً: «لا اتكلم ابداً عن اعمالي.»

قالت موضحة: «ولكنني سابيع تلك الاعمال، ولست صحافية.»

«وان يكن؟ اما ان تعجبك اعمالي أو لا. ولقد قلت انها جيدة. وفي الحقيقة اعتقد انك احببتها.»

«أجل لقد احببتها، كثيراً. الفنانون يسعدهم التحدث عن اعمالهم...»

هز رأسه بعدم اقتناع: «اذا لم اقل كل ما اريده خلال لوحاتي، اذن ما الغاية من محاولة شرحهم؟ وهذه هي الغاية الرئيسية للفن.» نظر حوله بضيق: «لما لا يوجد امكنة كافية للجلوس عليها في هذه المعارض؟ هل تريدين شيئاً للأكل؟» وبدون ان ينتظر جوابها، اشار إلى احد الخدم الذين يتجولون بين الحشد الكبير. وعندما اقترب الرجل نحوهما حاملاً بيده صينية من الطعام الشهي، نظر جويل اليها نظرة مليئة بالفرح وقال: «اتريدين شيئاً منها.»

كانت أمبير قد امضت ساعات طويلة في الطائرة وقد قدم لها وجبات من الطعام في ساعات متقاربة، لذلك لم تشعر بانها تستطيع تناول أي شيء: «لا، شكراً.»

أصر جويل: «متأكدة؟»

«متأكدة تماماً، شكراً لك.» ابتسمت للخادم لتخفف من حدة جوابها: «ربما بعد قليل.»

هز جويل رأسه وتناول بعض المقبلات قبل ان يغادر الخادم. وضع واحدة في فمه وبلعها على الفور. «لم اتناول أي طعام منذ الصباح.» حدق بها وتابع: «اخبرك شيئاً، دعينا نذهب للعشاء في مكان ما، الآن اذا اردت.»

اعترضت قائلة: «لا يمكنك الذهاب إلى أي مكان الآن، عليك البقاء ساعة على الاقل بعد.»

تنهد وقال: «اعتقد ذلك.» اختار فطيرة أخرى، مضغها قليلاً قبل ان يحتسي بعض الشراب، نظر بدهشة نحو القطعة الأخيرة بيده، وقال متأملاً: «تشبه طعمتها الفحم والقطن الرطب، ماذا تعتقدين ان يكون هذا الزهري اللون؟»

اجابت أمبير: «لا احب ان افكر.» وابعدت نظرها عن الفطيرة المزينة بالزيتون. «لا شك أن هاري انفق ثروة على تقديم كل هذا الطعام.»

وكأن ذكر اسمه قد احضره من بين البقية، ظهر هاري فجأة بجانبها قال: «جويل، اريد ان اعرفك على...»

سأل جويل: «ما هذا، يا هاري؟» كان لا يزال يفكر بالطعام بشكل واضح، وقد رفع الفطيرة عالياً لكي يراها هاري.

قال هاري: «لا أعلم، ربما بطرخ.»

سأل جويل وعيناه تلمعان: «بطرخ، بيض السمك؟» عاد ليحدق في الفطيرة متعجباً: «هل يبدو بيض السمك كالحلوى؟»

«اعتقد ذلك، اسمع اعذرينا أمبير.» وامسك هاري بذراع جويل وتابع: «هناك شخص اريدك ان تقابله.»

اجاب جويل بهدوء: «اجل، بالطبع.» تابع وكأنه يتحدث عن أمر حيوي: «ذلك الخادم يحمل صينية ملىء من هذه الفطائر.»

اصر هاري: «من هنا...»

قال جويل وهو يسير مبتعداً: «أمبير، احتفظي لي بهذه.»

وبصورة لا شعورية امسكت أمبير بالشيء الذي قدمه لها وتابع سيره بجانب هاري.

احتفظ به؟ ماذا يفترض منها ان تفعل؟ ان تحرس له هذه الفطيرة كل الليل؟ وماذا سيفعل بها؟ لقد قال ان لها طعم الفحم والقطن الرطب، الم يقل ذلك؟ كم يتوقع انها ستبقى ممسكة بها لأجله؟ انتظرت عودته بغضب، راغبة في ان ترمي عليه الطعام، وعندها ستحدث المشاكل وسيجد الصحافيون موضوعاً مثيراً للتحدث عنه.

رأت أحد الخدم يسير بقربها حاملاً صينية فارغة، قالت بحسم: «عفواً.» وعندما استدار مستفهماً تابعت: «يريد السيد ماتسون ان يحتفظ بهذه.»

رأت الدهشة على وجهه، فوضعت الطعام في وسط الصينية، قالت: «من فضلك احتفظ بها في مكان آمن؟»

كان الخادم متمرساً جداً ليعلم ان هناك شيء ما، لذلك قال: «سأحضر علبة لأضعها فيها.» وحمل الصينية إلى المكان المعد لوضع الطعام عاد بعد مرور خمس دقائق وهو يحمل باهتمام علبة صغيرة، فقالت: «يمكنك ان تعطيها للسيد ماتسون، انه هناك.»

كان يقف في وسط حشد من المعجبين، بمن فيهم الصحافية الشابة التي كانت تتكلم مع أمبير، وقف حانياً رأسه قليلاً، وابتسم لشيء قالته المرأة. ما ان اقترب الخادم من المجموعة، حتى توقفت أمبير عن المراقبة وسارت متجهة نحو الباب. مع انها لا تعاني من التعب والضعف عادة. لكن السفر الطويل تبعه حرارة الشوارع والضجة والحديث المتواصل في المعرض أثر كثيراً عليها. فبدأت

تشعر بالصداع، واحست بأن معدتها فارغة. شعرت بأنها متعبة. ستتصل غداً بهاري لتحدد موعداً خاصاً مع فنانه المدلل.

كان الطقس مازال حاراً في الشارع. استقلت سيارة لتوصلها إلى فندق مريح ومكيف حيث قدم لها عشاء خفيفاً وقهوة، بعدها صعدت إلى غرفتها واخذت حماماً بارداً وتناولت حبة من الاسبرين واتجهت إلى السرير. لم يكن الظلام قد عم المدينة بعد، كذلك هدير السيارات لم يخف. لكنها امضت نهاراً طويلاً، مع تغير الأوقات عبر السفر، ومع انها نامت قليلاً في الطائرة واستراحت بعض الوقت عند وصولها، لكنها تشعر بانها متعبة جداً، وتتمنى ان تنام بسرعة.

لم يكن الأمر سهلاً، لكن بعد قليل شعرت بالنعاس يسيطر عليها، رغم انها تشعر بكل الخطى في الممر وكل فرامل مسرعة على الطريق. بعدها سمعت قرعاً خفيفاً على بابها جعلها تنهض بسرعة.

قالت: «من هناك؟» وهي تتوقع أن أحدهم أخطأ بالغرفة، أو ربما عمال الفندق يريدون شيئاً.

«أنا، دعيني ادخل، يا أمبير.»

هاري؟ انه الوحيد في نيويورك الذي يعرف اسم الفندق ورقم الغرفة التي تشغلها.

نهضت أمبير من السرير، امسكت بروب حريري جلبته من سنغافورة عندما كانت هناك آخر مرة.

كان الليل قد ارخى سدوله في الخارج، لكن ضجة المواصلات لم تخف ابداً.

فتحت الباب من دون ان تنظر في الثقب الموجود ليؤمن معرفة الزوار، تراجعت إلى الوراء عندما شاهدت الرجل الذي يقف هناك.

سأل جويل متعجباً ما ان دخل واغلق الباب وراءه: «هل كنت نائمة؟ مازال الوقت باكراً.»

قالت بغضب: «قد يكون باكراً عليك، لقد استيقظت منذ السادسة صباحاً على التوقيت الاوسترالي، وهذا يعني منذ حوالي ثلاثين ساعة!»

«لقد وصلت اليوم؟ لم اكن اعلم ذلك. انني آسف!»

بدا منسحق الفؤاد مما جعلها ترد بنعومة: «لم تكن تعلم.» مدت يدها لتبعد شعرها عن وجهها: «على كل حال، ماذا تريد؟» لم تهتم ان كان كلامها قاسياً، فهو ايضاً لا يتصرف بلياقة.

«اعتقدت ان لدينا موعد للعشاء.»

قالت بحدة: «لم اوافق ابداً على العشاء معك أو أي شيء آخر.»

«لم تقولي لا.» حاول ان يبتسم لها، كانت ابتسامته جميلة، فقد لاحظت ذلك عندما رأته يبتسم لصحافية.

بقيت أمبير في مكانها: «تريد الكثير من الاهتمام.» سمعت صوتاً من داخلها يحذرها، انت تريدين الحصول على رسومات من هذا الرجل، فلا تتصرفي معه بعداوة.

قال بتواضع: «اعتقد ذلك.» لكنها لم تستطع الوثوق بعينيه الجريئتين. قال متأملاً: «حسناً، مرة أخرى، ربما؟»

اعترفت قائلة: «بكل الأحوال، اريد التحدث معك، لكن ليس الآن.»

وافق قائلاً: «لا.» اقترب منها أكثر مما جعلها تبتعد عنه.

قال بصدق: «تبدين مخيفة.»

«شكراً، هذا يجعلني اشعر بانني افضل.» يمكنها ان تصبح كذلك بدون ان يستمر هذا الرجل بتصريحه كم تبدو بشعة.

ضحك: «لا، اقصد انك تبدين متعبة، اصعدي إلى السرير.»

«هذا ما سافعله... عندما تذهب.»

سألها: «ولما ليس الآن؟ ساغطيك قبل ذهابي.»

«لن تفعل!» وشدت باطراف الروب عليها اكثر.

ظهرت ابتسامة واضحة على وجهه، ومع انها ادركت انها تتصرف بغباء، قال بنعومة: «لن اتعرض لك.»

«لم افكر بهذا للحظة، خاصة انها اصبحت عادة لديك ان تخبرني كم انا قبيحة!»

قال مندهشاً: «قبيحة؟ لم اقل ذلك مطلقاً!»

«حسناً، لكنك بالتاكيد كنت تعني ذلك!»

هز رأسه بسرعة نافياً: «لا!»

«لقد انتقدت ثيابي، تسريحة شعري...»

قال معترضاً: «لأنها لا تفيك حقك، يجب ان اقول انها تقلل من جمالك.» نظر إلى شعرها ثم إلى ثوبها الحريري وبدا الاعجاب واضحاً في عينيه قال: «يعجبني ذلك كثيراً فهي تظهر مع الفرشاة جمالاً لا حدود له... وانت بالطبع تملكين كل هذا.»

شعرت بأن خديها يحترقان: «توقف عن الكلام، جويل!»

شعر جويل بالاهانة: «الا يعجبك المديح؟ هل تعلمين أنت شخص من الصعب ارضاءه.»

«أفضل ألا تتحدث ابداً عن مظهري!»

«لماذا؟» وفجأة لمعت فكرة في رأسه فسأل: «الا اعجبك؟»

قالت أمبير: «لم اتعرف عليك بعد! فكيف سأعرف ان كنت تعجبني أم لا؟»

قال بصراحة: «انك تعجبينني.»

«لا استطيع تخيل ذلك!»

«ولماذا؟»

«لشيء واحد فقط، انني كنت قاسية جداً معك.»

قال ببساطة: «اعتقد انك كنت على طبيعتك، يمكنك المحاولة ان تكوني لطيفة معي.»

قالت محاولة ان تتبع طريقة حديثه: «ولماذا؟»

«يقول هاري انك تريدين اقامة معرض لي في سيدني.»

«نعم.» وشدت على اسنانها بغضب.

سألها: «ما رأيك في تناول الغداء معاً غداً؟ يمكنك ان تتمرني.»

«اتمرن؟»

«ان تكوني لطيفة معي.»

قالت: «حسناً، سنتناول الغداء معاً غداً، لقد اخذت الموافقة مني رسمياً.»

«حسناً، والآن هل استطيع ان اغطيك في السرير؟»

سارت إلى الباب وفتحته: «لا، عمت مساء، جويل.»

سار ببطء نحوها، وما ان اقترب منها توقف، نظرت إليه بتحدٍ، ابتسم بعد لحظة وهز كتفيه. وما ان مر من امامها حتى قال: «بالمناسبة، شكراً لك على اهتمامك بالفطيرة.»

www.elromancia.com

قالت بقسوة: «اتمنى ان تكون قد تمتعت بها.»

نظر إليها مندهشاً: «لم آكلها!»

سألت: «لما كنت تريد الاحتفاظ به إذن؟» ما ان قالت ذلك حتى ادركت الجواب على الفور.

قال: «لقد اعتقدت انك ستعرفين، انني سارسمها بالطبع.»

الفصل الثاني

اتصل جويل بامبير عند العاشرة من صباح اليوم التالي: «هل تحبين طعام بلاد الشرق الأوسط؟»

«لا أعلم، لكنني لا اعتقد انني أستطيع تناول طعاماً كثير البهار اليوم.»

«لست مريضة، أليس كذلك؟»

«لا، لكنني اشعر انني أكلت كثيراً البارحة. هذا كل شيء.»

قال باهتمام: «لكنك لم تأكلي شيئاً في المعرض.»

«لقد تناولت العشاء في الفندق.» لم تدرِ لما تقدم الأعذار لهذا الرجل!!

«أراهن انك تناولت سلطة.»

«ليس هناك من خطأ في تناول طعام منعش كالسلطة.»

قال ضاحكاً: «سأقدم لك وجبة شهية.»

أسرعت أمبير بالقول: «سأدفع عن نفسي.»

«لا، لن تفعلي، أنا دعوتك تذكري.»

«كنت سأقدم لك غداء بكل الأحوال.»

«حسناً، إذن سأنتظر تلك الدعوة. هذه المرة على حسابي.»

تخلت أمبير عن عنادها بصعوبة.

• • •

لاحظت انه يرتدي بنطلون قطني سميك مع قميص لكنهما على الأقل نظيفين وما أن نظر إلى تنورتها الواسعة

المزركشة وقميصها البيضاء ابتسم من دون ان يعلق، فلقد علمت أنه سيرتدي ثياباً عادية فارتدت ما يناسب ثيابه.

الطعام الذي اختاره لها بعد سؤالها عما تفضل كان شهياً وقليل البهار، لكنها تمتعت به وهذا ما قالته لجويل وهي تشرب فنجاناً من القهوة الحلوة.

أجاب: «كنت أعلم انك ستحبينه.»

«لا يمكنك أن...»

اتكأ على الطاولة، واضعاً يده على ذقنه ومحدقاً بها باهتمام: «لما تفعلين ذلك؟»

سألت أمبير مستفهمة: «افعل ماذا؟»

«تحاولين التخلص مني، هل أخيفك؟»

علمت انها لم تتحرك عندما اقترب فجأة منها، لكنه كان يشعر تماماً بسيطرتها على نفسها، قالت ببرودة: «انك تتخيل ذلك، لا أعلم عما تتكلم.»

لم يحول نظرته الثاقبة عنها، لكن نظرة عميقة ظهرت فيهما. شعرت ان ذقنها يهتز فتبادلا النظرات للحظات طويلة، بدون أن يتكلما.

اقترب النادل منهما ليقطع الصمت الدائر بينهما: «أتريدان المزيد من القهوة؟»

فهز جويل رأسه موافقاً.

بعدها جلس براحة على كرسيه، عاقداً يديه على صدره. وما ان ابتعد الرجل حتى قال بنعومة: «حسناً؟»

سيطرت أمبير على اضطرابها، قالت: «أحب ان أقيم معرضاً لك سيدني، ولقد اخبرني هاري أن لديك المزيد من الصور في الاستديو لم تدخل في معرضه.»

لم يغير نظراته الثاقبة عليها. «نعم.»

شدت على اسنانها قليلاً، قبل ان تتابع: «أحب ان اراهم.» بدا كلامها حازماً ومن الطبيعي ان تتحدث معه برقة أكثر، لكنها لم تكن ترغب في ارضاء غروره. فهو يستطيع بكل الأحوال ان يقبل الأمر أو يرفضه. وأحست انها سترتاح لو انه يرفض التعاون معها.

كان بخار القهوة ينتشر برفق أمامه على الطاولة، لكنه لم يتحرك، بل بقي يحدق بأمبير، وهو مستغرق في تفكيره، بعدها قال: «حسناً، متى تريدين رؤيتهم؟» وأمسك بالفنجان ورفعه إلى فمه.

تفاجأت أمبير وقالت: «هل تناسبك فترة بعد الظهر؟» فكرت، انه من الأفضل لها أن تتصرف بسرعة قبل أن يتراجع باقواله.

«حسناً.» تابع شرب القهوة، وعندما أعاد الفنجان إلى الطاولة قال: «الآن؟»

«نعم، إذا كان ذلك يناسبك.»

هز كتفيه: «إنني سهل الانقياد. هل انتهيت؟»

هزت أمبير رأسها، فأشار جويل إلى النادل كي يحضر له الفاتورة. صعدا في سيارة أجرة، وعندما جلست بجانبه أدركت كم هي متأثرة بوجوده، فهو طويل الجسم عريض الكتفين. جلس واضعاً يديه على ركبتيه. وجدت نفسها تحلل هاتين اليدين التي يمكنهما صنع الجمال في رسوماتهما، بطول اصابعه، واظافره القصيرة والنظيفة، لكنها شاهدت، دهان أزرق على اثنين منهما.

كان جويل ينظر من النافذة، لكنه أحس بمراقبتها له

فاستدار، وبطريقة لا شعورية رفعت رأسها. ابتسم لها بحنان فنظرت أمبير بعيداً.

توقفت السيارة بجانب مبنى حجارته بنية اللون، قال جويل: «علينا أن نسير.»

كان الدرج مظلماً ويصدر اصواتاً تحت وقوع اقدامهما، لكن عندما وصلا إلى الطابق الثالث وفتح الباب، تراجع قليلاً لتدخل امامه، عندها سارت في النور.

كانت الجدران تلمع كاشعة الشمس وهناك سجادة على الأرض تمثل شروق الشمس، لمحت أمبير من خلال الغرفتين المفتوحتين على بعضهما مطبخاً صغيراً ومن باب واسع آخر رأت سريراً كبيراً عليه نقوش هندية بالوان ذهبية وسوداء والغطاء مكوم في آخره ووضعت الوسائد فوق بعضها بجانب الحائط رأت أيضاً مجموعة كبيرة من الجوارير كوم عليها الثياب والكتب وعدد من الأقلام في كوب كبير وأمور أخرى أثارت انتباهها.

أما في غرفة الجلوس فهناك مقعد واسع من المخمل الأخضر الغامق في إحدى الزوايا. وأريكة من الجلد الأسود عليها وسائد صغيرة نشر عليهم جريدة بعض اوراقها مرمية على الأرض. رأت كذلك كرسيين من الخشب بجانب طاولة صغيرة قرب باب المطبخ ومكتبة معلقة على الحائط تحت النافذة عليها بعض الأغراض والجرائد القديمة وعلبتين من العصير وصحن فيه بقايا من الطعام.

تمتم جويل: «آسف.» وحمل الصحن والعلبتين إلى المطبخ رمى الطعام والعلبتين في سلة المهملات ووضع

الصحن في المغسلة. علمت أمبير أن هناك المزيد من الصحون في المغسلة بسبب ارتطام الصحن بهم.

اقتربت من المجلة المرمية على الأرض، التقطتها وهي تفكر أن تضعها في المكتبة.

«أليس هذا المكان هو الاستديو؟»

«لا، من هنا.» خرج من المطبخ وسار خلال باب آخر إلى ممر صغير أشار بيده وهو يمر أمام باب آخر: «هذا الحمام، وهذا...» فتح باب آخر: «يوصل إلى الاستديو.»

رأت امامها درج من الخشب، أشار جويل اليها أن تصعد أولاً. عندما وصلت إلى أعلاه وسارت في غرفة واسعة منارة بنور السماء إضافة إلى نوافذ تصل إلى الأرض. رأت حاملاً من الخشب عليه لوحة من القماش وبجانبه طاولة وضع عليها أوعية من الألوان المختلفة والفراشي، كانت رائحة الدهان تملأ الغرفة ولوحات كثيرة جمعت على أحد الجدران. والقليل منها معلق على الجدران المتبقية وفي إحدى الزوايا مجموعة من الجوارير الواسعة، كذلك شاهدت أريكة غير مريحة وبقربها مرآة كبيرة، ومجموعة من القماش الملون من أخضر وزهر وأزرق وأصفر وكذلك مناديل من الحرير ذات اللون الأحمر الارجواني معلقة على شاشة قريبة.

سألت أمبير وهي تقترب من الحاملة: «هل أستطيع رؤيتها؟»

هز جويل كتفيه، فاعتقدت انه بذلك يعلن موافقته، بقي واقفاً قرب الباب، يراقبها، ويبدو عليه التوتر، حتى انها تساءلت ان كان يشعر بالندم لأنه دعاها إلى الاستديو.

رأت صحن المقبلات الذي طلبه البارحة بين الأغراض المنتشرة على الطاولة. كان قد كبر حجمه في اللوحة ووضعه في زاوية اللوحة وشرحات الزيتون تظهر على طرف الصحن ووراءه على ذات الصحن المتطاول، رسمت سمكة كبيرة.

تراجعت أمبير إلى الوراء، وهي تتنفس، فقال جويل: «لا تتحركي.»

نظرت إليه، مندهشة، كان يسير امامها ليلتقط دفتراً عن الأرض وقلم رصاص من أعلى الجوارير، ويستدير ليواجهها.

قالت: «لا.» وسارت نحوه وهي تمد يديها لتنزع من يديه القلم والدفتر: «إنني لست موديل.»

قال: «وان يكن؟» مبعداً يديه وهو يزفر: «فأنا لا استعمل عادة اختصاصيين بهذا الحقل.»

«كان يجب ان اعلم انك بخيل.»

خرجت الكلمات من فمها بدون تفكير، ندمت على سرعة جوابها، حتى قبل أن ترى الغضب على وجهه.

سألها: «إذن ما هو السعر الذي تتقاضينه؟»

احمر وجهها خجلاً وقالت: «اني آسفة، لم أقصد ما قلته.»

رماها بنظراته المبهمة، بعدها قال بهدوء: «الاعتذار مقبول. والآن هل تسمحين أن أرسمك؟»

«لا.»

فكرت ان عينيه تحاولان اجبارها على الخضوع لإرادته، لكنه رمى الدفتر إلى الوراء بلا اهتمام وألحق به

القلم: «حسناً. لماذا؟ فمعظم النساء تتمنى فرصة كهذه.»

«انني متأكدة أن هذا المديح لا يقاوم. لكن لسنا جميعاً نرغب أن نبقى بلوحة للأجيال القادمة.»

«هذا لا يجيب على سؤالي.»

نظرت إليه بالتحديد: «لسبب واحد، لا أملك الوقت لذلك.»

بعد فترة قصيرة ابتسم، علمت انه لم يصدق أن هذا هو السبب الوحيد لرفضها، لكن وقبل أن يحاول اقناعها مجدداً قالت: «لقد أتيت لأرى لوحاتك.»

قال بحرارة: «بكل ترحيب، من أين تريدين أن نبدأ؟»

بعد مرور ساعة من الوقت، قالت: «نعم، فهؤلاء الخمسة، كبداية ماذا يوجد في الجوارير؟»

قال بغموض: «معظمها اعمال قديمة، وفيه بعض رسومات الباستيل التي كنت أتمرن فيها.»

فضول أمبير أصبح لا يقاوم: «تتمرن؟» فهي تعلم تماماً انه عندما يحاول فنان ما أن يفكر انه يتمرن فالنتيجة ستكون أعمالاً غير متوقعة فانها قد تكون اعمالاً عادية أو ربما مليئة بالإثارة. وعادة، لأن الوسط الذي يعمل فيه الفنان بعيد عن تجربته الجديدة، فلا يستطيع ان يحكم عليها أو أن يعرف ان كانت قيمة أم لا. سألته: «هل أستطيع أن أراهم؟»

بدا صوتها متغطرساً أكثر مما هو طلباً، شد شفتيه على بعضهما وهو ينظر إليها: «اسالليني بلطف.»

«لقد فعلت ذلك.» تمنت أمبير لو انه ليس بهذا الطول فليس من مصلحتها أن تنظر إلى أعلى كلما أرادت أن تكلمه. وبسرعة استجابت لرغبة طرد الابتسامة التي ظهرت

على وجهه، فقالت بلطف واضح: «ليس عليك ان تشعر بالخوف، اعتقد انهم رائعين حقاً.» وهي تقول كلاماً له اكثر من معنى: «لا يمكن أن نتوقع من مساهمة أن تقرر إقامة معرض إذا لم ترَ اولاً الصور التي ستعرض.»

قال جويل ووجهه جامداً كالصخر: «انها ليست للعرض.»

أدركت أنه يريد أن يظهر خداعها، أبقت على صوتها هادئاً: «حسناً، لكنني أحب أن أراهم، بكل الأحوال.»

قال بصوت مدمر: «هل هذا أفضل ما يمكنك القيام به؟»

قالت بحدة: «ماذا تريد... أن أتوسلك؟»

قال: «الذي أريده...» وابقى الكلام معلقاً في الفضاء، التقت عيناه بعينيها، اتسعت عيناها من الدهشة، فقال بنعومة: «نعم، لما أنت متفاجئة؟»

لقد تعرضت لهذا الموقف من قبل، لكنها لم تدرِ لما احمرت خجلاً ولما شعرت باضطراب كامل وبأن يديها ترتجفان: «قالت بحدة: «إنني أتعامل بتجارة الفن.»

«لكنك امرأة.»

«هذا لا يعني شيئاً بعملنا.» توقفت عن الكلام وهي تضغط على أسنانها بقوة من ضحكته المفاجئة.»

سألها قائلاً: «لما تعتقدين أنني دعيتك إلى هنا؟»

لمعت عيناها من الغضب: «لقد اعتقدت انك ترغب في اظهار عملك في بلدك الأصلي. ولم يتبادر لذهني انك تفكر في نوع آخر من العلاقات. كان من الغباء أن لا اعرف انك من هؤلاء المراهقين الكبار السن الذين يلاحقون كل فتاة جميلة تمر من أمامهم، ممثلين دور العاشق الولهان. كان عليّ أن اعرف انك من هذا النوع.»

«إنني لست من هذا النوع!»

قالت ببرودة وغير مصدقة: «لا؟»

أجاب بغضب: «ولم أكن أحاول التقرب منك.»

رفعت حاجبيها بطريقة تدل على شكلها الواضح بكلامه.

أضاف بقسوة أكثر: «وأنت بالتأكيد لست جميلة أيضاً.»

فكرت أمبير، انها سخرية الانسان الغير مبالي، قالت بسخرية: «انك تكسر قلبي حزناً. فانا لا أحمل أي مشكلة عن مظهري، شكراً لك.»

فهي تعلم انها ليست قبيحة، ولولا شعرها، الذي يثير من ينظر إليها ان يعيد النظر ثانية، فهي تعلم ان لا شيء خاص بجمالها.

قال بسخرية وقد فقد صبره: «هاه! ليس لديك أية فكرة!»

سألت أمبير: «عما تتكلم؟» بعدها قالت: «وما الذي تفعله؟» لأنه كان يدور حولها، غاضباً، وينظر اليها بعينين ثاقبتين.

قال: «اللون، انك بحاجة للحياة.» نظر حوله وأمسك بقطعتين من القماش معلقتين على الشاشة، وقبل أن تتمكن من ايقافه رمى بقطعة من اللون الزهري على إحدى كتفيها وقطعة من اللون الأخضر الغامق على الكتف الآخر قبل أن يبتعد عنها.

قال بقوة: «انك الآن افضل.» قبل أن تتمكن من ايجاد صوتها وأن تنتزع بيديها القماش عنها.

قالت: «هذا أمر سخيف، جويل...»

لم يكن يصغي اليها. بل كان ضائعاً في أفكاره، أمسك بشال من الحرير بلون النار.

«جويل، لا تفعل...»

تجاهل محاولتها لابعاده، أسقطه عليها بنعومة بحيث سقط جزء منه على وجهها، مشكلاً غطاء لشعرها، التفت أطراف الشال على رقبتها وسقط على كتفيها. أمسك بيديها المعارضتين ونظر اليها، بعدها شدها رغماً عنها إلى المرآة.

كانت أمبير تقول: «بكل الأحوال، لا يعقل أن تكون كل امرأة شعرها أحمر..»

قال جويل آمراً: «انظري.»

كانت تنظر إلى نفسها، غير مصدقة. فهذه المرأة التي ترى صورتها معكوسة في المرآة ليست هي، تلك المخلوقة، الغامضة، المليئة بالحياة، عيناها تشعان كالجواهر وخداها تلمعان بلون الورد وفمها يبدو ناعماً كاوراق الزهرة. بسرعة أغمضت عينيها، لكن كانت عيناها لا تريدان مفارقة تلك الرؤية في المرآة. فكرت وهي تشعر بالانبهار، أنا لا أشبه تلك، لا يعقل أبداً أن أكون كذلك...

قال جويل وهو يشعر بالنصر: «هل رأيت؟ تملكين شيئاً أكثر إثارة من الجمال.»

تلك الكلمة جعلت قلبها يضرب بسرعة، كان جويل يقف خلفها، فالتقت عيناهما في المرآة، رأت عينيه تلمعان وبعدها شعرت بيده على خصرها كان يديرها لتواجهه.

قالت أمبير: «لا.» لم تكن تقاومه، بل كانت تقف جامدة ولا تنظر إليه...

تمتم قائلاً: «لا؟»

هزت رأسها، مبعدة يديه عنها، تركها على مضض، فنزل

شال الحرير عن شعرها، إلى ظهرها، وما ان حركت يديها حتى أصبح على الأرض.

عندما استطاعت أن تنظر إليه رأته يراقبها بنظرات غريبة محاولاً أن يفهمها.

قالت محاولة أن تكسر الاحساس الغريب الذي يشعر به: «انه لأمر سخيف، فأنا لست لعبة.. أو موديل.. لكي تلبسني، جويل لم أحضر إلى هنا لألعب هذه الألعاب السخيفة.»

«ألعاب سخيفة؟»

تجاهلت الغضب الواضح في صوته فأسرعت في متابعة حديثها: «أحب أن أرى الباقي من أعمالك، وخاصة رسوم الباستيل ولكن إذا كنت تشعر انك لا تريدني أن أراهم...»

رفعت كتفيها بطريقة لا مبالية لتقول له ان هذا خياره. فهو يستطيع القبول أو الرفض.

بقي للحظة يحدق بها، بعدها ابتعد من أمامها، وقال: «حسناً.» وأشار بيده إلى الجوارير: «هيا، اعتبري نفسك في بيتك.»

اقتربت منهم ببطء، بينما كان واقفاً ينظر إليها، عندما سمعت صوت ضحكته وهو يقول: «أنا لا أعض.»

لف ذراعيه على صدره وأخذ ينظر إلى النافذة بينما كانت ترفع بعناية الجوارير وتنظر إلى اللوحات باهتمام وعناية كبيرين.

قالت بعد مضي فترة من الوقت: «عندما قلت انها أعمال تجريبية اعتقدت...»

نظر إليها بغير اهتمام: «أعلم.» لكنها لاحظت شيئاً من الارتباك تحت عدم المبالاة تلك.

قالت: «من الطبيعي، اننا سنخاطر بالقيام بعرضهم.»

عندها نظر إليها باهتمام: «نعم.»

«انها مختلفة جداً عن كل أعمالك السابقة.»

هز رأسه موافقاً.

قالت أمبير: «لكنني أريد أن أقوم بذلك.»

فكرت أنه بلا شك قد ابتسم، لكن كل الذي قاله، وهو يتنهد: «حسناً.»

• • •

سأل هاري عندما التقته في فترة بعد الظهر في المعرض: «رسوم باستيل؟ جويل يرسم لوحات باستيل؟»

قالت أمبير: «البعض من رسوماته، لكنها جيدة.»

اقترب هاري من حافة كرسيه: «بالطبع انها جيدة، فكل ما يفعله جيد.» كانت أمبير تجلس امامه على كرسي الضيوف، أمسك بالقلم أمامه وقال: «إذن لقد استطعت اقناعه بأن يأخذك إلى الاستديو.»

«لم اقنعه! لقد سألته فوافق.»

نظر هاري إليها نظرة استفهام، وبسرعة أوضح رأيه: «بالطبع، فانت امرأة و...»

قالت أمبير: «توقف عن الكلام في الحال! انني مساهمة مثلك تماماً. ولم اضغط أو استعمل أية وسائل نسائية على ولدك الذهبي...»

رفع هاري يديه: «آسف، لقد اعتقدت انه حاول التأثير عليك، هذا كل شيء حسناً، لكن عليك الاعتراف ان ذلك أثار فضولك.»

اعترفت أمبير: «إذا كان هذا ما تقصده، فمعك حق.»

اعتقد ان جويل حاول التأثير عليها ليجعل منها غالاتيا جديدة مثل بجماليون.

كان هاري ينظر اليها بامعان: «في الحقيقة، أحب كثيراً أن احظى على اهتمامك لنفسي.»

فتحت أمبير فمها قليلاً مستغربة، فضحك: «هل الأمر بهذه الغرابة؟ اننا نعرف بعضنا منذ عدة سنوات، وأنت شابة جميلة، وجذابة، بطريقتك الهادئة والمتفهمة بالطبع، أنا أكبرك بعدة سنوات، لكنني لست عجوزاً بعد.» ابتسم بقلق: «لست كبيراً كي لا أقدر جمالك، بكل الأحوال.»

قالت أمبير: «بالطبع لست عجوزاً.» فلقد كان في أوائل الخمسين من عمره. وهو مهتم جداً بنفسه، فلقد رأته في أكثر من مناسبة يتهرب من سيدات جميلات تلاحقنه لكنها لم تفكر فيه أبداً بطريقة رومانسية من جهتها.

قال: «لا تقلقي هكذا، لن احاول الضغط عليك. فقد... أريد منك أن تعرفي.»

قالت أمبير: «هذا... مديح يريحني.»

تقطب جبينه: «لكنه لا يسعدك.»

«حسناً، لم أتوقع أبداً...»

بدا هاري حزيناً: «هل تعلمين، لقد أصبحت أشعر بالملل من معاملتي مثل عم محبوب.»

قالت ببساطة: «آسفة.» ونظرت إليه باهتمام، محاولة أن تفكر به بطريقة أخرى غير تلك التي كانت تنظر بها إليه... صديق كريم، واسع الاطلاع وقد ساعدها في اختيار عملها الذي تشعر بالسعادة والراحة فيه، ولم يطلب منها أي شيء بالمقابل، ان من ناحية عملها أو منها شخصياً.

قال هاري، وكانه علم بما تفكر فيه: «هل تمانعين، ان حاولت تطوير هذه العلاقة؟»

انحنى وأمسك بيديها محاولاً أن يساعدها على النهوض. لم تكن تشعر بالقلق بل كانت تشعر بالفضول.

ضمها إليه بطريقة خبيرة وقال وهو يبتسم: «ربما يجب ان أقول لك ان مقاصدي شريفة.»

قبلها برقة وبنعومة وفجأة سمع طرقاً خفيفاً على الباب وعلى الفور فتح الباب بعد ذلك، دفعت أمبير يديها لتبعد هاري عنها، لكنه ابتعد عنها ببطء، وهو ينظر ليرى من الداخل.

قال ببساطة: «أهلاً، جويل.»

وقف جويل عند الباب، ينظر اليهما نظرة غامضة، قال بتهذيب: «آسف، لقد قلت لي الساعة الثالثة تماماً.» لم ينظر إلى أمبير على الاطلاق. وقفت أمبير جانباً مرتبكة بينما قال هاري: «نعم، لقد قلت ذلك.» تطلع إلى ساعته وقال متفاجئاً بفرح: «انك في الوقت المحدد.»

قالت أمبير: «اعذراني، أراك لاحقاً هاري.»

قال واعداً: «سأتصل بك.» ابتسم لها وأمسك بيدها وهي تسير نحو الباب الذي كان يقف امامه جويل. ابتعد قليلاً وللحظة التقت عيناه بعينيها... فقد للحظة واحدة، لكن عندما أغلق هاري الباب بعد خروجها وقفت هناك محاولة أن تستعيد أنفاسها وهدوءها.

قالت لنفسها، ليس هناك من شيء يعنيه، وليس هناك من سبب يجعلها تشعر بالذنب. فالشعور بالاحراج قليلاً أمر مفهوم، لكن هذا الاحساس السخيف بأن قامت

بتصرف مشين... حسناً إذا جويل لم يعجبه الأمر، فهذا أفضل.

• • •

دعاها هاري إلى العشاء في مكان أنواره خفيفه، وكان يرتدي ثياباً للسهرة أما هي فقد ارتدت فستاناً من الحرير بلون الخريف، تحدثا كالأصدقاء القدامى، وضحكا معاً على نكات تبادلاها وتحدثا عن أعمال جويل ماتسون. اخبرها هاري عن اللوحات التي يقيم المعرض لها: «إنها تباع بشكل سريع، واعتقد لن يكون هناك الكثير لتأخذيه معك إلى اوستراليا.»

قالت تمازحه: «ليس عليك أن تبدو منسحق الفؤاد، أعلم انك سعيد لذلك، وأنا لا ألومك.»

حاولت أن تبعد عن تفكيرها ما حدث في المكتب. وسمحت لهاري أن يملأ كوبها بالعصير ثانية.

سأل، وهو يراقبها بدقة: «ماذا عن اعماله بالباستيل؟»

قالت أمبير: «انها مختلفة.»

«لقد أخبرتني ذلك بعد الظهر. لكنك لم تخبريني كيف. اعتقد اننا... هوجمنا.»

تجنبت أمبير النظر إليه. فهي لم يتسن لها الوقت لتفكر بالذي حدث. قالت: «قد يراها بعض النقاد عاطفية.»

«عاطفية؟» وضع هاري كوبه جانباً: «جويل ماتسون؟ عاطفي؟»

«حسناً، انها... تعود لذكريات الطفولة، على ما اعتقد، مليئة بالحنين إلى الوطن... اطفال تلعب بين أشجار

صمغية، والد تقليدي مع عائلته، عشاق يسيرون بجانب النهر... نكريات عن بلاده.»

قال هاري: «انه يعيش في الولايات المتحدة منذ... تقريباً عشرين عاماً.»

قالت أمبير: «اعتقد خمسة عشر عاماً، لقد أتى إلى هنا عندما كان في العشرين من عمره. ولقد اعتقد دائماً أنه رسام من نيويورك أكثر مما هو اوسترالي الأصل، أعلم ذلك. لكن هذا كله موجود في داخله.»

«حسناً، بعض النقاد اشاروا إلى تلك العلاقة، بالطبع، لكنني لم أرها أبداً...»

قالت تؤكد له: «ستفعل ذلك عندما ترى هذه الرسومات، حتى الألوان هي اوسترالية... متموج بين اللون الأحمر الناعم.»

«حسناً، حسناً انها ليست أعمال قديمة ولا يمكن أن يكون قد قام برسمها عندما ترك اوستراليا؟»

«آه، لا. لقد قام برسمهم مؤخراً، وهو يقول انه عمل تجريبي.»

هز هاري رأسه: «حسناً، لم أصدق ذلك أبداً. هل هي عاطفية حقاً؟»

أجابت أمبير بغموض: «إنها ليست قاسية مثل أعماله الأخرى لكن فيهم قوة وخيبة ونوع من الارتباط الدائم.»

«ارتباط دائم؟»

صححت له بحزم: «شيء موجود بداخل الفنان، ولقد حقق عملاً جباراً باظهاره الحياة الحقيقية في اوستراليا. فالتفاصيل ظاهرة جداً حتى انها تؤذي في بعض الأحيان.»

وضع هاري شوكته في وسط صحن السلمون المدخن: «همم، هل سيرضى بالعودة إلى سيدني من أجل المعرض؟»

«لم اسأله بعد.»

كانت دائماً تحاول اقناع الفنانين للحضور، ومعظم الذين يعيشون في اوستراليا يحضرون دائماً، أمام المعارض التي كانت تقيمها للفنانين من بلاد أخرى فلقد كانوا يمزجون العمل برحلة سعيدة إلى جزء آخر من العالم، لكن واحداً منهم أو اثنين كان يعلن عن ارتباطه بأعمال أخرى مما يجعلها ترضى بالرسومات فقط.

قال هاري محللاً: «ان كان يشعر بالحنين إلى الوطن، سيسعد بهذه الفرصة.»

قالت موافقة: «نعم.» وهي تعاني من شعور غريب بين الأمل والخوف: «اعتقد انه سيفعل.»

الفصل الثالث

بقي جويل ماتسون يتملص من رؤية أمبير لعدة أيام، وكانت تتوقع القيام بالعديد من الاتصالات، لذلك امضت ساعات مثمرة وهي تقابل الناس وتتبادل المعلومات والافكار معهم، لكنها اتصلت مراراً بالرقم الذي أعطاها أياه هاري لمنزل جويل، ولم يرد عليها احد.

تأكدت من الرقم من دليل الهاتف، وحاولت الاتصال مجدداً بعدها اتصلت بهاري ان كان يعلم اين هو جويل.

اجاب هاري فرحاً: «الم تريه بعد، ذهب مع الريح، اليس كذلك؟»

«هكذا يبدو. أين يعقل ان يكون؟»

«لا فكرة لدي، ربما يكون في الاستديو يعمل ولا يجيب على الهاتف.»

سألت أمبير، وهي تزفر: «كيف يتوقع مني ان اقوم بعرض اعماله وهو غير موجود؟»

قال هاري بمنطق: «هكذا هم الفنانون...»

اجابت تنكره: «على الفنانين ان يعيشوا الحياة كما نعيشها نحن، ولا اتفاجأ عندما اعلم انهم فقراء، خاصة اذا كانوا يديرون حياتهم بهذه الطريقة.»

ضحك هاري: «ربما يريد ان يلعب دور الفنان الصعب.»

«ان كان كذلك فهو غبي! فهناك العديد من الفنانين الذين يتدافعون من أجل الحصول على معرض لأعمالهم.»

قال واعداً: «إذا ظهر في المعرض سأخبره انك تحاولين الاتصال به، هل أنت مشغولة الليلة؟ هل استطيع ان أدعوك للعشاء؟»

لم يكن هناك من سبب للرفض، وبعد تردد قصير وافقت على قبول الدعوة، فهي لم تحصل على وقت كاف لتفكر عن افصاح هاري لها عن عواطفه، كما وانها لم تأخذ الموضوع بجدية، فلا بد انه كان يعيش لحظة عاطفية، لذلك قررت ان تكون رشيقة، ارتدت فستاناً أسود ضيق يصل عالياً إلى رقبتها، وعندما نظرت إلى نفسها في المرآة اثارت شكوكها، بكل الاحوال لم تحضر معها الكثير من الثياب للسهرات.

اعجب هاري بها عندما قابلها، واحست بدفء جديد في عينيه جعل قلبها يجفل، سلمت عليه ببرودة واضحة وحاولت ان تكمل السهرة هكذا.

بعد الانتهاء من العشاء، سألها ان كانت تحب الانتقال إلى ناد ليلي، وبدا عليه الضيق عندما اعتذرت وقالت انها تفكر في النوم باكراً لأنها متعبة عندها اقترب لكثر من الطاولة وامسك بيدها. «إذن، عودي معي إلى البيت لنأخذ شراباً ما.»

حاولت أمبير على الفور سحب يدها، ضحك هاري بنعومة، وقال مازحاً: «امبير! انا لا اقترح عليك امضاء الليل عندي، هل تعتقدين انني اعمى ولم الاحظ كيف تتصرفين طوال السهرة؟» ترك يدها وجلس براحة كما كان سابقاً. «اننا اصدقاء قدامى، اليس كذلك؟ كل الذي اريده هو البقاء بعض الوقت معك، لن ادعك تمكثين طويلاً، اعدك بذلك، كما انني لن احاول مضايقتك.»

قالت: «حسناً.» فهي تصدقه وتعلم انه رجل نزيه، كما وانها ليست المرة الأولى التي تزوره في بيته.

كان بيته يعبّر عن الذوق الجيد، الصالون الكبير من اللون الرمادي والفضي مع الاسود ومغطى بقماش من الأزرق الغامق، ونافذة كبيرة تطل على المدينة... وبعدما اظهرت اعجابها بلوحة جديدة معلقة على الجدار حتى جلسا يحتسيان القهوة ويتمتعان بمنظر المدينة في الليل.

قالت أمبير وهي تجلس في مقعد جلدي: «إنها رائعة.»

اجاب هاري: «انها اجمل لوجودك هنا.»

ابتسمت له ابتسامة مقتضبة ورفعت فنجانها إلى شفتيها.

سأل هاري: «هل لديك فيلا في بلادك؟»

لم تفكر أمبير يوماً في الكذب، فهذا يؤدي إلى مزيد من التعقيدات: «لا.»

«لم تتزوجي من قبل، أليس كذلك؟»

هزت رأسها بعنف: «مطلقاً.»

«لقد كنت متزوجاً من قبل، وتطلقنا بعد فترة قصيرة وعادت وتزوجت من شخص آخر الآن، ولديهما ثلاثة أولاد.»

نظرت اليه باهتمام وسألته: «هل تحب ان يكون لديك عائلة، يا هاري؟»

«لقد اصبحت عجوزاً على ذلك الآن، احياناً افكر... لكن لا. لا استطيع ان أرى نفسي والداً، الا تعتقدين ذلك؟»

«ربما لا اعرفك جيداً.»

ابتسم وقال: «ماذا عنك؟ هل تريدين ان تستقري، ويصبح لديك زوج وأولاد؟»

هزت رأسها: «لا، لم افكر بذلك ابداً.»

رفع هاري حاجبيه: «ابداً؟»

بدون ان تجيب، هزت رأسها ثانية، واستدارت بنظرها إلى الأضواء في الخارج، لم تكن متأكدة، فأحلام المراهقة لا تحسب، بالطبع.

سألها: «وما رأيك بالاستقرار من اجل الزوج فقط، إذن؟ هناك أمور الفرح... والجلوس معها في جو هادىء احياناً، لقد اصبحت في متوسط العمر، امبير. وكبير جداً على العلاقات العابرة.»

تساءلت أمبير ان كان عليها الاحساس بالتعاطف معه. لكنه ضحك فجأة: «انني اصور الأمر كعمل، اليس كذلك؟ أنسي ما قلته، لا بد انه تنويع الطعام الذي تناولته على العشاء، انك امرأة جذابة وشابة، فلما عليك الاهتمام برجل عجوز مثلي؟ لكملي فنجانك، وسآخذك إلى الفندق.»

نظرت أمبير اليه، وضحكت بدورها: «اذا اردت ان تجعلني اشعر بالحزن عليك هاري، فهذا لن يحدث... انك رجل وسيم، ذكي وناجح وفي ذروة العمر، وكأنك لا تعلم ان اية امرأة ستشعر بالفخر والفرح ان كانت قد اثارت انتباهك.»

نظر إليها بامعان: «اية امرأة، وحتى أنت؟»

قالت أمبير: «حسناً، بالطبع اشعر بالفخر...»

«لكن الفرح يحتاج لأكثر من هذا.»

أجابته: «انني مختلفة عن معظم النساء...» نظر هاري

اليها مستفهماً، فقالت بسرعة: «لا، لا اعني ذلك. لكنني لا اهتم لاقامة علاقة مع رجل... من أي نوع كانت.»

«هل جربت ذلك مرة؟»

«منذ فترة طويلة، لدي الآن عمل أديره، وهو يأخذ كل أوقاتي، وكل طاقتي، فليس هناك وقت لأي شي آخر.»

هز رأسه وقال: «انها ليست طريقة جيدة للعيش، أمبير.»

«انها تناسبني.» اكملت فنجانها ووقفت قائلة: «هذه طريقتي، شكراً لك على هذه الأمسية، يا هاري لقد كانت أمسية جميلة.»

ظهر الحزن على وجهه: «كانت جميلة لي أيضاً، لكنني تمنيت لو...»

قالت أمبير: «اني آسفة.»

قال: «لن آخذ هذا الرد كرد نهائي.» وضمها اليه بسرعة، لم تعلم كيف تمكن من ذلك وضعت يديها على صدره لابعاده، لكنه لم يهتم لذلك توقفت جامدة وهي لا تشعر بشيء نحوه، فابتعد عنها وهو يبتسم: «اعذريني؟»

قالت بحزن: «لا بأس، لكن لا تجعل من الأمر عادة، هل يمكنك ان تطلب لي سيارة اجرة، من فضلك؟»

«سآخذك بنفسي إلى الفندق.»

«لا، افضل الذهاب بسيارة أجرة.»

هز هاري كتفيه وقال: «حسناً، لكنني لا اعتقد انك باردة كما تتظاهرين.»

نظرت إليه عن كثب: «تخلى عن الأمر، هاري لقد اخبرتك لست مثل كل النساء.»

قال باستنكار: «اذا كنت تريدين القول انك باردة، فلن اصدق ذلك.»

هزت امبير رأسها: «هاري، اريد العودة إلى الفندق، وهذا الحديث قد اقفل.»

لكنها لم تذهب مباشرة إلى الفندق، وفي منتصف الطريق ادركت ان السيارة تمر بالمبنى الذي يسكن فيه جويل ماتسون، كانت نوافذ غرفة الاستديو مضاءة، وبسرعة طلبت من سائق سيارة الأجرة ان يتوقف.

قالت: «لقد غيرت رأيي، سانزل هنا.»

بعد ان انطلقت السيارة، توقفت على الرصيف واخذت تتساءل ان كانت حقاً مجنونة. فقد يكون الرجل بصحبة احد، لأن الوقت متأخر.

لا، ليس متأخراً جداً، هذا ما ذكرت نفسها به وهي تنظر إلى ساعتها، وبكل الاحوال، لقد ازعجها في ذهابه اليها بعد ان نامت في الفندق ليلة وصولها وبذلك لن تسيء له ان فعلت ذلك بدورها. ستكون ضربة حظ ان تمكنت من رؤيته قبل ان تسافر، فهذه الفرصة اكبر من ان تخسرها.

عندما فتح لها الباب تساءلت ان كان نائماً، فلقد بدت عيناه حمراوان كالجمر، لكنه كان يرتدي بنطالاً من الجينز وقميص ملطخة بالدهان، كما ان لحيته قد غطت وجهه من جديد، وشعره بدا وكأنه لم يسرح منذ ايام.

قال وهو يبتعد ليدعها تدخل: «كيف عرفت؟»

مرت من امامه وقد شمت رائحة الدهان تنبعث منه: «عرفت ماذا؟» بعدها، اعتقدت انه يعني كيف عرفت انه في المنزل، فتحت فمها لتشرح له لكنه قال: «انني قد انتهيت؟»

«انتهيت؟»

اغلق الباب واستدار ليواجه عينيها اللتين تحدقان به: «ليس هذا ما اعنيه؟»

هزت امبير رأسها وقالت بصبر: «هل سنبدأ ثانية؟»

مرر يديه في شعره وحف مؤخرة رقبته، قال: «لا، بالطبع، لما لا تجلسين؟»

«شكراً لك.» ابعدت عدة مجلات عن الاريكة ونظرت حولها لتجد مكاناً تضعها فيه.

«هنا.» اخذهم جويل منها واسقطهم على الأرض، اسقط غيرهم وجلس يحدق بها وكأنه لا يصدق انها حقاً هناك. نظرت حولها فرأت الغرفة قليلة الترتيب والنظافة أكثر مما كانت في المرة الماضية.

رفع جويل كوب الماء إلى شفتيه، وبعدها قال: «آسف، هل استطيع ان احضر لك أي شيء؟ قهوة؟»

قالت: «لا شكراً.» واضافت بلطف: «لا تهتم بي.»

نظرت اليه باهتمام، وادركت انه متعب جداً، فتذكرت ما قاله لها عند الباب، سألت: «هل كنت ترسم؟»

هز رأسه، ورشف رشفة من كوبه وقال: «لقد انتهيت الآن، اعتقدت انك تعلمين المجهول.»

«كلا، لا اعلم شيئاً.»

قال: «من سلالة السلتيك.»

اجابت امبير، وكأنها اعتادت على تفكيره، الغريب: «لا علم لي بذلك.»

اصر جويل: «في مكان ما، إلى كم عهد تعرفين سلالة عائلتك.»

«ليس بالكثير، كما ان الشعر الأحمر ليس بالضرورة يعود للسلتيك، اليس كذلك؟»

«انه ليس بأحمر.»

قالت بامتنان: «شكراً لك، كم اتمنى لو كنت قريباً مني منذ عشرين عاماً لتخبر صديقاتي.»

«عشرين عاماً؟»

«شيء من هذا القبيل، فانا الآن في الثامنة والعشرين.»

هز جويل رأسه، وجدت امبير نفسها تحدق فيه. قالت: «هل كنت تعمل بدون توقف؟»

حدق حوله بغموض وكأنه يبحث عن روزنامة، بعدها قال: «اعتقد ذلك.»

«لم تجب على الهاتف.»

نظر إليها متعجباً، وكأنها يجب ان تعلم انه كان منهمكاً في عمله وانه لن يترك عمله من اجل شيء لا قيمة له مثل الرد على الهاتف قال: «لا اسمع صوته من الاستديو.»

لم تقل امبير ان باستطاعته ان يضع جهازاً آخر في الاستديو، قالت تخبره: «عليّ العودة إلى سيدني الاسبوع المقبل، وكنت احاول الاتصال بك.»

قال: «نعم، آسف.»

تابع جويل: «سأستحم.» نهض وهو يضيف: «لا تذهبي.»

«انظر، انك متعب، لو انك تتصل بي عندما تصبح...»

قال: «لا، لا، انتظري، لن اتأخر كثيراً.»

سألت: «على كم ساعة من الراحة والنوم حصلت في ثلاثة الأيام الأخيرة.»

ابتسم لها وقال معترفاً: «ليس بالكثير. لكن لا بأس، لن

انام لساعات بعد بكل الاحوال. لا افعل ذلك مطلقاً بعد ان انتهي من الرسم. اعتقد انني بحاجة لقليل من الراحة والاسترخاء.» لمس يدها وتابع: «ابقي، اذا غيرت رأيك اصنعي بعض القهوة، لدي وعاء يبقي القهوة ساخنة.»

عندما سمعت صوت الماء من الحمام، نهضت وامسكت بالجرائد عن الأرض، افسحت لهم مجالاً في المكتبة ووضعتهم فيه. رتبت الوسائد ونظفت الطاولة، وضعت الأوراق في سلة المهملات بجانب الصوفا. بعدها ذهبت إلى المطبخ.

وجدت مجموعة من فناجين القهوة في المغسلة، وليس معهم الا صحن واحد وسكين. نظرت اليهم بتفكير، بعدها امسكت بسائل التنظيف وفتحت المياه الساخنة عليهم بينما القت نظرة سريعة على البراد الصغير، لم يكن هناك الكثير من الطعام، قليل من البيض، والخبز المجفف، زبدة ونوع من اللحم وبعض الجبن والمربى والعسل.

ما ان انتهت من غسل الفناجين حتى بحثت عن آلة صنع القهوة... وعندما خرج جويل من الحمام ينادي امبير كانت تنشف آخر فنجان، اجابت: «اصنع المزيد من القهوة.»

قال: «آه، حسناً.» وبصورة غير متوقعة ظهر عند باب المطبخ واضعاً منشفة حول رقبته. كان قد حلق ذقنه وسرح شعره. وعلى الرغم من كتفيه العريضين كان يبدو كالطفل الصغير في رداء الحمام.

قال معترضاً: «لم يكن عليك القيام بذلك.» اضاف عندما وصلت اليه رائحة التوست الفرنسي، واللحم والبيض «انت تطبخين ايضاً.»

قالت تتهمه: «لم تأكل منذ ايام، اليس كذلك؟»

قال يدافع عن نفسه: «بالطبع، اكلت، اكلت خبزاً، وجبنة و...» ومثل طفل صغير يبحث عن الاعذار، التقت عيناه بعينيها: «وفواكه... فهي مليئة بالفيتامين.»

امرته بقوة: «ارتد ثيابك بسرعة.» واستدارت نحو الموقد بسرعة. تركت له بعض الوقت قبل ان تضع الطعام على الطاولة. وعندما رجع كان يرتدي بنطالاً ضيقاً من الجينز وقميصاً في القطن.

سأل وهو يحاول الجلوس إلى الطاولة: «ماذا عنك؟»

قالت: «لقد عدت فوراً من عشاء فاخر ولذيذ. كُلْ.»

قال: «سافعل. يبدو شهياً، لكنني لن اتمكن من الأكل ان بقيت واقفة تراقبينني.»

عادت امبير إلى المطبخ لتجلب ابريق القهوة وفنجانين. وضعت واحداً امام جويل، وجلست في الجهة المقابلة تحمل الثاني بينما امسك جويل بالشوكة والسكين اللتين وضعتهما له أمبير.

بعد ان ذاق أول لقمة قال: «طعام شهي، مع من ذهبت إلى العشاء؟ مع هاري؟»

«كيف عرفت؟»

نظر إليها بعينين غامضتين: «ليس بالسؤال الصعب.»

شربت القليل من القهوة، وهي تقول لنفسها ان ليس هناك من سبب يدعوها لتفسر لجويل ماتسون ماذا تفعل باوقاتها ومع من تمضيها قالت: «اريد التحدث معك بشأن المعرض.»

مضغ لقمة ثانية وكان يقطع بالسكين قطعة اللحم امامه: «هل امضيت وقتاً رائعاً؟»

«ماذا؟»

«مع هاري، هل امضيت وقتاً جميلاً؟» ظهر بعض المرح على وجهه: «لقد انهيت السهرة باكراً.» وأخذ يحدق بها باهتمام.

قالت امبير: «لقد امضيت وقتاً رائعاً، شكراً لك.» انه يتحدث معها فقط، فهو لا يهتم مطلقاً بها وبهاري أو ان كانت حقاً سعيدة: «لقد اخبرتك كان عشاء شهياً، ولقد رغبت بالنوم باكراً، لأنني اقوم بالكثير من الاتصالات واشعر بالتعب. لكن عندما رأيت الاستديو مضاء فكرت ان آتي واتحدث اليك لأنه من الصعب الاتصال بك...»

«إذن لم تذهبي إلى بيت هاري بعد العشاء؟»

«اجل، لقد ذهبت في الحقيقة مع انني لا اعلم ماذا يعني هذا...»

«لقد ذهبت؟»

لم تزعج أمبير نفسها بالاجابة على ذات السؤال، حدقت به بينما كان ينظر إليها باهتمام.

قال: «لا بد ان هاري غاضب.» وعاد ليأكل.

قالت أمبير بحزم، محاولة السيطرة على غضبها: «الآن اسمع ليس من الضرورة ان يكون صحيحاً ما يدور في فكرك عندما تدعو امرأة إلى العشاء. فانا وهاري اصدقاء قدامى...»

رماها بنظرة حادة وابتلع الطعام الذي كان يمضغه: «آه، هذا ما شاهدته ذلك اليوم.»

«الذي شاهدته ذلك اليوم ليس من شانك! ولا ايضاً...»

«ولا ماذا يحدث في شقة هاري بينكما.» تنهد جويل:

«انك محقة، انني خارج الموضوع.» ولوح بسكينه بيأس.

اجابت بغضب: «نعم، انك كذلك خارج الموضوع.» ليست ما كانت تود ان تشرح له، لكن هذا يعني خيانه ثقة هاري بها وبكل الاحوال، فهذا لا يعني جويل بشيء.

قال متوسلاً: «ارجوك، لا داع للخلاف، فلن استطيع الأكل هكذا.» اطبقت أمبير فمها وانتظرت حتى انتهى من تناول طعامه وبدأ بشرب القهوة.

قالت: «بخصوص المعرض.»

كان يرتشف قهوته من دون ان ينظر إليها، هز كتفيه وقال: «آه، حسناً.» اعاد الفنجان إلى الطاولة: «انني لست متاكداً بعد.»

قالت تنكره: «لقد وافقت من قبل.» وهي مندهشة من عمق غضبها.

التقت عيناه بعينيها للحظة: «هل فعلت؟» ابعد نظره وهو يعترف: «اعتقد انني قبلت.»

«إذن لا يمكنك التراجع الآن بكلامك!»

«أنا لا أريد التراجع الآن!» وبدا عليه الغضب ايضاً فسيطرت أمبير على نفسها، واخذت تتنفس بهدوء.

قالت: «علينا القيام ببعض الاتفاقات إذن.»

«آه، حسناً.» وضع جويل فنجان القهوة في صحنه، وامسك بفنجانها ايضاً، نهض عن كرسيه وتوجه إلى المطبخ قال: «شكراً على العشاء.»

نهضت وهي تقول: «انك على الرحب.» وعندما عاد من المطبخ، سألته بتوتر: «هل استطيع أن أرى اللوحة الجديدة؟» حاولت بذلك أن تعيد العلاقة بينهما إلى سابق

عهدها، وتبعد التوتر القائم بينهما بدون أي سبب. اعتقدت أولاً ان جويل سيرفض، لكنه قال بلا مبالاة: «اعتقد، ولما لا؟» وكأنه يحاول اقناع نفسه ان ليس هناك من سبب ليرفض طلبها.

رأت في الاستديو ان اللوحة لاتزال على الحاملة. ادار جويل مفتاح التحويل فأنيرت الغرفة تماماً فوق اللوحة قال: «لم تنشف بعد.» وقف خلفها بينما كانت تنظر إليها على بعد خطوات فقط.

قالت بنعومة: «آه!» وهي تشعر باضطراب داخلي، فقد تذكرت العشاء الذي تناولته قبل وقت قصير، ثمار البحر الشهية مع خضار فاخرة ونادرة قدم بعد الصحن الرئيسي صينية من الاجبان الطازجة مع اطيب شراب وقد شعرت انها لم تتذوق مثل هذا العشاء من قبل.

رسم طبق المقبلات بترتيبه الزاهي الموضوع على صحن صيني مع السمكة الكبيرة الملقية بجانبه. ولمعان جلدها يظهر بقوة على البورسيلين وقد بدت حقيقية وكأنها ستنقسم لو انها لمستها وستجد مياه البحر مازالت عليها. لكن الآن لم يعد الصحن ملقى فقط على الطاولة، بل تمسك به يدان لونهما اسود ذكرتها بكل الافلام التي شاهدتها عن ضحايا المجاعة، لم يكن وجه الرجل في الصورة بل صورة فقط حيث تبدو كل اضلاعه بارزة تحت الجلد، كل ذلك على قميص بيضاء وربطة عنق سوداء وانحناءة مثالية بتقديمه.

درست امبير اللوحة بصمت، بعدها استدارت وسارت نحو النافذة، نظرت خارجاً قبل ان تعاود النظر إلى اللوحة ثانية، وكأنها تريد ان تراها عن بعد. عندما تأكدت ان

صوتها سيكون ثابتاً قالت: «لا ادري اذا كانت هذه اللوحة ستباع... الا في معرض عام فليس هناك الكثير من الناس الذين يريدون ان يمتلكوا لوحات تجعلهم يشعرون بالذنب كل مرة نظروا اليها.»

حدق جويل بغموض نحو اللوحة، وقال كأنه يكلم نفسه: «انا لا ارسم ذنوبهم. انها ذنوبي فقط.»

انه لم يتكلم ابداً عن لوحاته، عن الدافع لرسمه، عن سبب هذه الرسومات، ومن يلهمه ليرسمها هكذا، للحظة حبست أمبير انفاسها، وبهدوء وكأنها لا تريد ان تزعجه قالت: «ذنوبك؟»

قال وهو ينظر إليها بعينين غاضبتين: «لو انني اهتم، لو انني اهتم حقاً لكنت هناك اقوم بشيء ما... في اثيوبيا أو أي مكان آخر... في كالكوتا أو حتى في شوارع نيويورك، فهناك الكثير من الناس من هم في حاجة للمساعدة ولا أحد يعلم كم هم محتاجون، ولا يوجد غير القليل من الناس التي تريد القيام بشيء ما لهم، وانا اجلس في الاستوديو.» وانهى حديثه: «وارسم ضميري.»

قالت: «انك تملك الموهبة. موهبة يجب ألا تضيعها، اذا ذهبت إلى تلك الأماكن ورسمتها... ربما يمكنك ان تؤثر اكثر في العالم ليساعد بطرق أخرى...»

سألها: «هل يمكنك ان تتخيلي انني اضع الحاملة واقوم برسم اللوحات بينما الناس تموت حولي؟ مع انني هذا ما اقوم به، بالواقع ما عدا انني اراهم وانا مرتاح بالجريدة أو على التلفزيون، فانا استطيع ان اطفىء التلفزيون أو اقلب الجريدة، وان اتظاهر بأنهم غير موجودين فعلاً.»

قالت: «انك لست الوحيد الذي تفعل ذلك، جميعنا نقوم به ومادمت ترسم لوحات كهذه سنبقى نتذكر وهذا أمر جيد يجعل الناس ترغب بالمساعدة... حتى ولو بتقديم الهبات فقط.»

قال: «أوه.» ووضع يديه في جيبي بنطاله وسار عبر الغرفة: «اعتقد بكل الأحوال...» استدار نحوها وتابع: «اذا تمكنت من بيع هذه سيعود ثمنها لمصلحة ضحايا المجاعة.»

هزت أمبير رأسها: «هذا كرم منك، فلا بد ان سعرها عالٍ.»

قال بغضب: «انه ليس بكرم انه نوع من العدالة في عالم لا يعرف العدل، هذا كل شيء، انه نقطة في بحر.»

قالت تذكره: «هذه ليست غلطتي، وعلى الأقل ليست بغلطة احد اكثر من الآخر.»

«لا، كما تقولين، فالذنب ذنب الجميع، وبذلك لا تقع المسؤولية على احد ومع ذلك كلنا مذنبون.» ضحك فجأة بخشونة: «وأنت لم تحضري إلى هنا لنقاش فلسفي. ولم ارد ان ابدأ بهذا الحديث أيضاً، لقد قمت بذلك بسبب شعوري الحزين.»

«يجب ان تشعر بالفرح، فلقد انتهيت من رسم لوحة رائعة، حتى ولو الموضوع مليء باليأس والاحباط.»

ابتسم وقال: «لا تهتمي بي. فأنا دائماً اكون هكذا عندما اعمل بجهد كبير.»

«تصبح كئيباً؟»

«يمكنك قول ذلك. إما ان يصبح المرء سعيداً جداً أو

بالعكس واحياناً يشعر بالاثنين معاً، وهذا ما اريد ان احياه دائماً وقد سمعت بذلك في عدة مناسبات.»

اعتقدت انه سمع ذلك من صديقاته، وبرغبة عاجلة لتغيير الموضوع، قالت: هل تسمح ان انظر مرة ثانية إلى رسوماتك الباستيل؟» على الأقل هي الآن اكثر فرحاً من تلك. وعادت نظرتها إلى الحاملة. فتح الجوارير لها بنفسه: «على الرحب والسعة.»

بعد فترة تنهدت براحة مشتركة مع فرح مثير قالت: «انها حتى لجمل بكثير مما اتذكر، اريد المزيد من هذه، وربما اريد اقامة معرض كامل منها في الواقع...»

لمع وجهها من الفكرة التي خطرت على بالها فجأة، نظرت اليه وتابعت: «لما لا تأتي إلى اوستراليا وتعمل هناك لعدة اشهر؟ اذا كان بامكانك القيام بكل هذا من الذاكرة، فكر كم يمكنك ان تحقق ان كنت في المكان الحقيقي بالواقع!»

فكرت للحظة انها رأت نوعاً من الموافقة في عينيه بينما كان ينظر إليها ثم اختفت وقال ببساطة: «لا.»

لم تعد ترى شيئاً على ملامح وجهه، فشعرت أمبير وكانها صفعت على وجهها.

قالت: «لا.» وصوتها يرتجف من التأثر: «فقط بهذه السهولة؟»

كرر وراءها: «فقط بهذه السهولة.» وبدأ يضع الرسومات ثانية في الجوارير.

قالت تناقشه: «فكر بالأمر! فهذه اللوحات رائعة! يجب ان تعلم ان عودتك إلى بلادك ستجعلك تقوم بأعمال مهمة! يمكنني المساعدة بايجاد استديو لك، ومكان تعيش فيه...»

اغلق الجارور الأخير واستدار: «لن اذهب من هنا، امبير.»

امسكت بذراعه: «لما لا؟»

لم تفكر ابداً انه يمكن ان يبدو بهذه البرودة قال: «لست بحاجة لاقدم لك الاعذار.» وابتعد عنها.

سألت ببطء: «ما الذي حدث لك؟» لحقت به وهو يسير نحو الباب ليصل إلى الدرج الضيق: «هل لديك ذكريات مؤلمة في اوستراليا؟»

قال وهو ينظر إليها مبتسماً ابتسامة تبعد كل البعد عن المرح: «ارد عليك بكلماتك، هذا ليس من شأنك.»

فتح الباب واشار لها ان تتقدمه بنزول الدرج، كانت لاتزال تشعر بخيبة الأمل، سارت بسرعة وبسبب ظلام الدرج انزلقت قدمها على الدرج فوقعت أرضاً، وقد التوى كاحل رجلها.

«أووه!»

اصبح جويل بجانبها بلحظة، واضعاً يديه على كتفيها: «هل انت بخير؟»

قالت وتكاد لا تتنفس من شدة الألم ومن شعورها بالاحراج: «نعم، لقد التوى كاحلي قليلاً، هذا كل شيء.»

ساعدها لتنهض: «انت متأكدة ان رجلك لم تُكسر؟»

«نعم، أنا متأكدة.» لم تستطع ان تسير عليها، لكنها بمساعدته تمكنت من الوصول إلى الاريكة قالت تؤكد له: «سأصبح بخير بعض قليل.»

أخذ يمسد الكاحل، نظر اليه غاضباً وقال: «اعتقد انه سيتورم قليلاً سأحضر بعض الثلج.»

وضع القليل من الثلج في منشفة صغيرة، وجلس على الأرض بجانبها ووضع المنشفة على الكاحل المتورم.

قالت: «اني آسفة، من الغباء مني ان اتصرف هكذا.»

هز جويل رأسه وقال: «لما انت غاضبة جداً مني؟»

قالت بقسوة: «انا لست غاضبة منك.»

«لقد كنت غاضبة، ولهذا وقعت على الدرج.»

قالت تؤكد كل كلمة تلفظها: «انني لست بغاضبة منك.»

حدق جويل بها، فلقد كان يجلس بجانبها على الأرض بينما هي تجلس على الاريكة قال: «حسناً، لما هو أمر مهم ان اذهب إلى اوستراليا معك.»

قالت موضحة: «ليس بالتحديد معي.»

«لا تتهربي من الجواب فقط قولي لي لماذا؟»

«لقد قلت لك، ان عملك التجريبي سيتطور هناك. اعتقد انك ستتخذ اتجاهاً جديداً بعملك، والمواضيع التي تعمل عليها الآن ستظهر بشكل اروع في محيطها، لقد تعلمت الكثير هنا، وبنيت لنفسك شهرة واسعة وحققت اسلوباً خاصاً بك. ولكن من انت، هنا بصدق؟ فنان من الدرجة الثانية في نيويورك.»

«أوو!»

انهت امبير حديثها: «بينما تملك القدرة لتكون اعظم فنان اوسترالي.»

«هل تريدين القول انني سأكون اكثر سعادة لو كنت سمكة كبيرة في حوض صغير، بدلاً من ان اكون سمكة صغيرة في حوض كبير.»

«انني اقول انك اوسترالي، وربما حان الوقت لتتذكر ذلك.»

«منتهى الوطنية؟» هز جويل رأسه، وهو يمزح ثم تابع: «افضل ان اكون مواطن انتمي إلى العالم اجمع.»

قالت أمبير: «لا يمكنك ان تنفي جذورك واصلك.»

«انا لا انفي شيئاً، انه جزء مني، وسيبقى هكذا دائماً، لكنني لا أرى أي سبب وجيه أو أي سبب يجبرني ان تكون اعمالي... في بلدي.»

«ما عدا الاحساس الذي اجبرك على القيام بهذه الرسومات.» نكرته أمبير بنعومة: «هذا يأتي من داخلك. اليس كذلك؟»

اصدر جويل صوتاً خاصاً في فمه وقال: «انك تقرأين الكثير في بعض الرسومات.» رفع المنشفة عن الكاحل ووضع يده عليه: «لا اعتقد انه سيتورم بعد. كيف تشعرين الآن؟»

«لا استطيع ان اعرف حتى اقف عليها.» انزلت رجلها على الأرض، وابتعد جويل عنها يراقبها.

سارت أمبير بضع خطوات. فاذا تجاهلت الألم وركزت على قدمها فهي بالكاد ستعرج قالت: «انني بخير، شكراً لك لمساعدتك في الدرجة الأولى.»

رمى المنشفة جانباً وقال: «لا مشكلة.» سار نحو المطبخ ورمى قطع الثلج في المغسلة.

قالت عندما رجع: «من الأفضل ان اذهب، واتمنى ان تفكر بما قلته لك يا جويل.»

«اننا في الطابق الرابع، وما زال كاحلك يؤلمك أليس كذلك؟»

«سأتدبر الأمر.»

«يمكنك البقاء ان اردت.» انتظر حتى نظرت إليه بقلق، بعدها اضاف وهو يضحك: «يمكنني النوم على الاريكة.»

قالت أمبير بجدية: «هذا لطف زائد منك، ولكن ان كنت لا تمانع بمساعدتي اني متأكدة انني استطيع نزول الدرج.»

www.elromancia.com

الفصل الرابع

تدبرت أمبير أمر النزول لطابق واحد باستنادها إلى ذراع جويل لكن عند الردهة توقف وقال: «ربما يجب أن أحملك.»

«لا، شكراً أفضل النزول قفزاً على أن تسقطني على الدرج.»

ضحك جويل وقال: «كنت أفكر بسلم الاطفائي.»

قالت: «لا تجرؤ على ذلك.»

ضحك: «ما زال الدرج طويلاً. هل غيرت رأيك بشأن البقاء الليلة هنا؟»

قالت بحزم: «لا. لكن لو ننزل ببطء أكثر...»

هز كتفيه وقال: «عنيدة قليلاً، ألست كذلك؟»

لم تجب أمبير، فهي ليست عنيدة قليلاً ولو لم تكن بهذا العناد لما استطاعت الوقوف على رجليها والمثابرة حتى وصلت. أهم الصفات التي تميزت بها للنجاح في عملها هي العناد وحب عملها.

توقفت ثانية في الردهة الأخيرة، ونظر جويل إليها وبدون أن يحذرها رفعها بين ذراعيه. أسكت اعتراضها بقوله: «ابقي صامتة وستكونين بخير.»

كان كلامه عادياً فبقيت صامتة وهادئة بينما حملها ما تبقى من الدرج حتى اوصلها إلى الشارع.

قال: «ابقي هنا.» أوقفها بجانب الباب: «سأطلب سيارة أجرة.» وعندما فعل، قال: «ربما يجب أن أذهب معك.»

أجابت أمبير: «لا! لقد كنت لطيفاً جداً.» أضافت وهي تحاول أن تبدو ممتنة له: «سأكون بخير الآن، شكراً لك.»

• • •

نهضت أمبير صباح اليوم التالي متأخرة، وبعد أن نظرت إلى ساعتها أمسكت بالهاتف لتطلب الفطور قبل أن تذهب إلى الحمام لتستحم.

كان شعرها ناشف وفاقداً حيويته فغسلته بالشامبو الموجود في الفندق ولفته بالمنشفة قبل أن تجفف جسمها وترتدي الروب الحريري وتعود إلى غرفة النوم.

كانت تحف المنشفة بسرعة على شعرها عندما سمعت قرعاً خفيفاً على الباب. فكرت بدهشة، إن الخدمة في هذا الفندق سريعة جداً، ذهبت إلى الباب لتفتحه، وتراجعت مندهشة وهي ترى جويل يسير في الغرفة.

سألت بغضب: «ماذا تفعل هنا في هذه الساعة؟»

سأل جويل: «كيف حاله؟»

«حال من؟»

«كاحلك. لقد كنت قلقاً عليك.»

قالت: «بخير، شكراً لك. لم أفكر به حتى الآن كان يمكنك الاتصال هاتفياً.»

لم يرفع عينيه عن شعرها الرطب منذ أن أغلق الباب: «كنت قد كذبت. إن لشعرك لون مختلف.»

«لقد غسلته منذ لحظات.»

«نعم، أرى ذلك.» مد يده ليلمسه فأجفلت أمبير وابتعدت. ارجع يده وقال: «آسف، إمشي.»

«ماذا؟»

«إمشي، أريد التاكد من كاحلك.»

«لقد قلت لك أن كاحلي بخير. لا أشعر باي ألم.»

«دعيني أرى.»

استدارت أمبير وسارت نحو الطاولة بجانب النافذة، مدركة أن عينيه تتابعانها كل الوقت. استدارت وسارت نحوه، توقفت على بعد خطوات منه، ولم تنظر إلى وجهه مباشرة.

قال: «أتمنى لو تسمحين لي أن أرسمك.»

نظرت إليه وقالت: «لقد بحثنا هذا الموضوع من قبل.»

قال: «نور الشمس.» كانت عيناه تنظران إليها بنظرة غريبة.

«جويل...»

أخذ المنشفة من يدها، وبدون أن ينظر، رماها على السرير.

«جويل...»

أمسك بذراعها بشدة وجرها نحو النافذة ثانية قالت أمبير: «جويل! إنك لن ترسمني!»

فكرت للحظة انه لم يسمعها على الاطلاق. كان ينظر إليها، لكنها علمت انه كان يرى لوحة وألواناً مختلفة، بعدها تغيرت نظرته وأصبحت أكثر دفء ومليئة بالضحك.

قال متحدياً: «مطلقاً؟»

«مطلقاً.» كانت تريد أن تكون حازمة، وغير قابلة للنقاش. ولماذا، إذن بدت غير متأكدة وصوتها هامساً؟ تباً لهذا الرجل، إنه يحاول السيطرة عليها، أبعدت عينيها عنه وقالت: «مطلقاً.» محاولة أن يكون صوتها قاسياً وثابتاً: «لن أسمح لك أن تخدعني.»

قال بنعومة وهي يحني رأسه: «وماذا إذا توسلت إليك؟»

بالكاد تستطيع تخيل ذلك. بكل الأحوال ومع أنه كان يحاول جاهداً أن يبدو أنه يتوسل، كان الضحك واضحاً في عينيه.

قالت: «لا، ولا، ولا هل كنت واضحة كفاية؟»

«حسناً.» مد يديه أمامه وتراجع إلى الوراء: «لقد وصلتني الرسالة.»

نظرت إليه أمبير بشك. كانت تشعر انه لن يتخلى عن الموضوع بهذه السهولة.

سمعا قرعاً على الباب جعلتهما ينظران معاً إليه.

قالت: «إنه الفطور.»

دخل الخادم إلى الغرفة ووضع الصينية على الطاولة بجانب النافذة نظر إلى جويل وتغيرت ملامح وجهه. أعطت أمبير الرجل بعض المال، وبعد أن أغلق الباب وراءه، استدارت نحو جويل، وقالت تتهمه: «أنت تعلم بما يفكر الآن.»

ابتسم: «وهل هذا مهم؟ تعالي وتناولي فطورك.»

«لا تصدر إلي الأوامر!»

«إذا كنت تخافين أن يكتشف هاري الأمر...»

«أنا لست خائفة أن يكتشف أحد أي شيء. فقط انني لا أحب...» كان ينظر إليها بتهذيب، منتظراً أن تنتهي ماذا تحاول أن تقول. تنهدت وقالت: «آه، لا بأس.»

هز كتفيه، ورفع الغطاء عن الصينية: «رائحته شهية.» وتابع مستغرباً: «يمكنك أن تأكلي كل هذا؟»

أربع قطع من الخبز المحمص مع اثنين من الكرواسان في سلة صغيرة، قالت: «خذ شيئاً منها، سأقوم بتجفيف شعري.»

أدارت المجفف في الحمام وبعد مرور عشر دقائق كانت قد صففت شعرها كالمعتاد.

عندما رجعت إلى الغرفة كان جويل يجلس مرتاحاً على إحدى الكراسي بجانب الطاولة، وينظر إلى وعاء القهوة بينما كان ينهي إحدى قطع الكرواسان.

عادت أمبير إلى الحمام وأحضرت كوباً من على الرف فوق المغسلة، قالت وهي تضعه على الطاولة: «خذ واسكب لنفسك.»

«شكراً.» سكب لنفسه القهوة وبدأ بشربها بينما انتهت من شرب كوب عصير الليمون وأخذت تضع المربى على قطعة الكرواسان المتبقية سألها: «هل أسكب لك بعض القهوة؟»

هزت رأسها موافقة، فقد يمكنه أن يكون مفيداً في بعض الأحيان. وضعت السكر في فنجانها وقالت: «يجب أن تذهب أريد أن أرتدي ثيابي.»

نظر إليها باهتمام: «تبدين جميلة بالنسبة لي.»

«توقف عن ذلك.»

ضحك وهو يقول: «كنت فقط انظر.»

«حسناً، يمكنك أن تتوقف عن التحديق بي هكذا!»

سأل باهتمام بينما اختفت ابتسامته: «إنك حقاً منزعجة، أليس كذلك؟»

«لا أجد الأمر مسلياً.»

«كنت أمازحك.» ووضع يده الكبيرة على يدها: «آسف.»

سحبت يدها بنعومة وبسرعة قالت ببرودة: «لا بأس.»

غضب جويل. لكنها أبعدت نظرها عنه وقالت وهي تنهض عن الكرسي: «لدي موعد.»

«حسناً، انني ذاهب.» نهض ببطء، وهو لا يزال ينظر إليها: «كيف يمكنك أن تفعلي ذلك؟»

نظرت إليه ثانية: «أفعل ماذا؟»

«تصبحين بهذه البرودة، بمثل هذه السرعة.» ومد يده نحوها وتابع: «وأنت تملكين شعراً بهذا اللون، أيضاً.»

قالت تخبره: «لا دخل على الاطلاق للون شعري بطبعي، وهذه ليست إلا قصص النساء العجائز.»

استمر في التحديق بها وكأنه لا يسمعها، وأضاف بنعومة: «وتلك الشفاه.»

رفع اصبعه ولمس شفتيها بسرعة، وبصورة غير متوقعة.

دفعت أمبير يده جانباً وابتعدت عنه.

بقي ينظر في عينيها، وفجأة ظهر اهتمام أكثر في عينيه، فاقترب أكثر منها.

قال وكأنه يتمتم: «أمبير؟»

«قلت إنك ذاهب.»

«هل تريدين حقاً أن أذهب؟»

أدركت أمبير انها ان استمرت بالتراجع ستقع مباشرة على السرير. لذلك وقفت جامدة وقالت: «نعم، لقد أخبرتك. ان علي رؤية شخص ما.»

سألها: «هاري؟»

«لا، ليس هاري.»

كان يقف أمامها مباشرة. أرادت أن تدفعه بعيداً. فهي لا تريد أن يلمسها. رفع يده ولمس مؤخرة عنقها.

لمعت عينا أمبير بالغضب، رفعت يدها وأبعدت يده عنها.

للحظة قصيرة بدا الغضب في عينيه أيضاً، لكن سرعان ما اختفى. استدار على الفور وسار نحو الباب قال ببساطة: «إلى اللقاء.» وخرج.

كان الوقت يمر سريعاً بأمبير وهي في نيويورك. وقد حصلت على بعض الرسومات لمعرضها، وتدبرت أمر مبيعهم في سيدني. كما وأنها باعت بعض اللوحات التي جلبتها معها. لكن ما زال أمامها الاتفاق على عرض لوحات جويل، وكانت مصممة أن تقنعه على الرجوع معها إلى اوستراليا.

قال لها هاري، عندما سألته عن جويل: «لا أدري لما لا يريد الذهاب، مع أنه لم يذهب إلى هناك منذ قدومه إلى اميركا، أليس كذلك؟»

«على ما اعتقد، هل تعتقد انه يمكنك اقناعه؟ إنني متأكدة ان ذهابه أمر جيد لرسوماته.»

«لماذا؟»

«انني أشعر بذلك، إنه جاهز لذلك.»

قال هاري مازحاً: «حدس نسائي.»

«لا، ليس بحدس نسائي لكن مما أصبحت أعرفه عن الفنانين، فعندما يأخذون منحى جديداً، اعتقد أن علينا تشجيعه.»

«هل أنت متأكدة انه اتجاه جديد؟ مشاهد من طفولته؟ قد لا تكون أكثر من زيارة للوطن. أو أن يأخذ فترة راحة ويعود لأعمال أكثر صعوبة.»

«لا اعتقد ذلك. هناك شيء آخر... شيء بحاجة للاكتشاف، للعمل من خلاله...»

«تريدينني أن اتحدث إليه؟»

«إذا كنت تعتقد انه يمكنك اقناعه.»

هز هاري كتفيه: «أستطيع المحاولة. لكن لا أدري لما عليّ القيام بذلك، بينما تخططين لابعاد أفضل فنان عندي...»

ابتسمت أمبير له: «أنا لا أريد أن آخذه إلى الأبد. وإذا قرر البقاء، فإنه يستطيع أن يرسل لك بعض رسوماته. فمن المؤكد انه يحصل على أسعار أفضل هنا.»

«حسناً، إنني اتوقع حضوره في أي وقت ليرى كيف يسير المعرض، وسأنكر له ما قلته.»

لكن هاري لم يحظ بفرصة أفضل فقد قال لها: «يقول جويل إنه لا يريد الذهاب. هذا كل شيء، لا يوجد سبب لذلك، فقد رفض عادي ولا حاجة للتفكير بذلك.»

تنهدت أمبير: «حسناً، شكراً للمحاولة على الأقل لقد وافق أن أعرض عمله. عليّ أن أراه بسبب ذلك وربما استطيع أن أعرف السبب.»

اتصلت بجويل، وهذه المرة أجاب على الفور، وحدد لها موعداً لتأتي وتراه في الاستديو.

جلست عندما فتح الباب وقف ينظر إليها، وكأنه نسي من تكون. قالت تذكره: «لدينا موعد.»

مرر يده بشعره، غاضباً وقال: «آه، أعلم حسناً.» تنحى جانباً بتردد ثم دعاها للدخول.

سارت أمبير عدة خطوات لتصل إلى غرفة الجلوس وأدركت أن هناك شخصاً آخر في الغرفة. كان هناك فتاة جالسة على الاريكة شقراء الشعر ترتدي قميصاً صفراء اللون وتنورة قصيرة. كانت العينان الزرقاوان اللتان تحدقان بأمبير تدل على انزعاجها.

قال جويل: «هذه ترودي، ترودي هذه أمبير. إنها تعمل في مجال الفن من اوستراليا.»

نظرت ترودي، نحو أمبير ومن دون أن تنهض ابتسمت وقالت: «مرحباً.»

قالت أمبير: «مرحباً.»

قال جويل: «ترودي هي جارتي.»

قالت ترودي: «أعمل كموديل لجويل أحياناً.»

ابتسمت أمبير، وقالت بلطف: «آه، نعم؟»

قال جويل، وهو ينظر إلى الفتاة: «أمبير وأنا لدينا عمل وعلينا التباحث به. لا أريد أن أكون فظاً، لكن...»

تنهدت ترودي: «حسناً.» نهضت وتابعت: «استطيع أن ألاحظ.»

قال جويل يدعوها: «اجلسي، أمبير.»

فتح جويل الباب لترودي وتبادل وإياها كلمة أو كلمتين بينما وضعت الفتاة يدها على صدره، بعدها أغلق الباب واستدار نحو أمبير وقال: «آسف بشأن ذلك.»

قالت ببرودة: «لا بأس.» تساءلت ما الذي يقولاه والداي الفتاة عن عملها كموديل لجويل. فهي تبدو وكأنها بنصف عمره. أضافت بتوتر: «لم أكن أعلم... إنك تعمل.»

كان يقف بعيداً عنها، واضعاً يده في حزام بنطاله ناظراً إليها. ابتسم: «لو كنت أعمل، لكنت هناك في الاستديو.»

«لقد فهمت.»

قال ببطء والضحك واضح في عينيه: «حقاً فهمت؟»

أبعدت أمبير نظرها عنه، والتقطت الحقيبة التي احضرتها معها. قالت ببرودة: «ربما من الأفضل أن

نذهب إلى الاستديو، أريد أن أسجل قائمة كاملة بالرسومات التي سأحصل عليها للمعرض.»

عندما انتهيا من عملهما، اقترح أن يقدم لها فنجاناً من القهوة، فوافقت لأن الجزء الأصعب من عملها لم يأت بعد. عندما جلس على الاريكة، مواجهاً لها، وهو يحمل بيده فنجان القهوة تنفست بعمق، وقالت: «ما زلت أريدك أن تأتي إلى سيدني. فالفن بدون الفنان عمل... غير كامل.»

لم تظهر أية تعابير على وجهه، فقالت: «أرجوك، اسمعني.» وبدأت بالقاء محاضرتها القيمة.

سمع كل كلامها، وعيناه مسمرتان على وجهها وهو يرتشف قهوته. وعندما انتهت وضع فنجانه جانباً وقال: «لقد أخبرتك من قبل، إنني لست ذاهباً.»

«لما لا؟»

«ليس علي أن أقدم لك الأعذار.»

«مع أنني أحب سماعها.»

وقف جويل وقال: «اسمعي، إذا كنت لا تريدين اللوحات بعد كل هذا...»

نهضت غاضبة، وهي تقول: «أريد اللوحات، وأريدك أيضاً!»

النظرة التي رماها بها كانت كافية لتتقد احمراراً لو كانت بعمر ترودي قال: «والآن هذه جملة مثيرة للاهتمام.»

قالت: «أنت تعلم ما أعني! وتوقف عن النظر إلي هكذا! فأنا لست موديلاً كالحوريات اللواتي ترسمهن!»

رفع حاجبيه غاضباً: «وماذا تعنين بذلك، بالتحديد؟»

ظهر الغضب الذي كان مسيطراً عليه منذ لحظة وصولها،

بصورة واضحة، قالت بسرعة: «أنت تعلم تماماً ما الذي أعنيه! يجب أن تخجل من نفسك؟ كم تبلغ ترودي من العمر بكل حال؟»

سأل: «وهل هذا يهمك بشيء؟» كان صوته هادئاً لكن نظرات عينيه جعلتها تقلق.

سألت بحدة: «هل هي السبب الحقيقي الذي من أجله لا تريد مغادرة نيويورك؟»

أجاب ببرودة: «لا، أنت السبب.»

تفاجأت من شدة الألم الذي أصابها، فهي تعلم أنه لا يمكنها لومه، فلم تكن لطيفة معه مع أنها بقيت تقول لنفسها أن عليها التصرف بلطافة معه أكثر. فلا بد أنه سئم من أنها ستتغير، قالت بصعوبة: «يجب ألا تسمح لما تحب ولما تكره، أن يقف في طريق عملك.»

سألها ببرودة: «هل هذه فلسفتك في الحياة؟»

هزت أمبير كتفيها: «نوعاً ما، إنك لن تراني كثيراً، عندما تصبح هناك وأنا متأكدة أنه يمكننا حل كل الأمور.»

«لا.»

قالت باهتمام: «آه، لنقلها بصوت عالٍ. ماذا عليّ القيام به لاقناعك؟»

ضحك وقال: «هل هذا عرض؟» وتقدم خطوة نحوها.

«لا، إنه ليس كذلك! ويمكنك ابقاء افكارك الرخيصة ويداك لنفسك!»

عوضاً عن ذلك، مد يده وضمها إليه. كانت ضحكته ما زالت على وجهه، قال: «اعتقد أنني استطيع القبول بمثل هذا العرض.»

«توقف عن ذلك، جويل.» كانت تعلم أنه ليس جاداً، إنه

فقد يحاول أن يفقدها توازنها. دفعته قائلة: «دعني أذهب.»

«لا اعتقد أنني أريد ذلك.»

«أمر مؤسف، دعني أذهب.» نظرت إلى عينيه، محاولة أن تبقي عينيها باردتين ومسيطرتين.

نظر إليها بإمعان: «هل هذا حقاً ما تريدينه؟»

كان نبضها يخفق بسرعة وصوتها أجش: «نعم.» شدت على قبضتها ودفعته. لم يحدث أي فرق. كان قوياً كالصخرة. «جويل...»

سألها: «ألا تفكرين بشيء آخر غير العمل.»

«ليس مع الفنانين.»

«مع هاري؟»

«إنني لن أحاول شرح علاقتنا لك. هذا أمر بيني وبين هاري.»

سألها: «وهذا؟» تابع وهو ينظر في عينيها: «ما بيني وبينك؟»

قالت متوترة: «ليس هناك شيء بيننا... لقد قلت إنك لا تحبني.»

قال غاضباً: «لم أقل شيئاً من هذا القبيل!»

«شيء مثله. ألم تقل أنك لن تذهب إلى اوستراليا بسببي...»

ابتعد عنها وهو ما زال غاضباً. قال صارخاً: «بالنسبة إلى امرأة ذكية مثلك، فانت تقولين أشياء سخيفة جداً.»

قالت تخبره: «أنت من قلت ذلك! وبكل الأحوال، معظم الوقت تقول أشياء غير منطقية. فانت تبدو وكأنك غير قادر على التحدث كانسان عادي وبمنطق.»

«وأنت غير قادرة على التفكير بمنطق!»

«أنا؟» أين العدالة في كل هذا، قالت بغضب: «لو لم أكن انسانة عاقلة جداً، لكنت رميت أي شيء على رأسك الآن!»

ازال الغضب عن وجهه، وانفجر ضاحكاً، قال: «جربي ذلك يوماً ما.»

نظر إليها وتابع: «وانظري ماذا سيحصل لك.»

حدقت بالتحديد في عينيه، فمن الواضح انه متمرن على الرغم من نكرانه السابق. تنفست بعمق، وهي تفكر بخطواتها التالية.

لكنه سبقها إلى ذلك. مفاجئاً إياها، قال: «سوف أخبرك. سأذهب إلى اوستراليا بشرط واحد.»

فتحت فمها مندهشة، ونظرت إليه بقلق، رفع يده قائلاً: «لا، ليس هذا.»

تابع مصمماً: «سآتي إلى معرضك إذا سمحت لي أن أرسم لك لوحة.»

الفصل الخامس

قالت أمبير لمساعدتها بعد مرور عدة أيام: «ذلك الرجل مجنون.»

أبعدت دينا مانغان شعرها الأسود عن عينيها ونظرت اليها بحشرية وهي تمزق الأوراق التي تلفّ اللوحات التي وصلت للتو إلى المعرض في سيدني. كانت دينا دائماً تسأل عن الفنانين الذين تقابلهم أمبير في رحلاتها: «مجنون؟ باية طريقة؟»

بحثت أمبير عن الكلمات: «انه... فظ، لأمر واحد، كما وانه أناني.»

شعرت بوخز في ضميرها، فلقد كان مهتماً جداً بشأن كاحلها. بفرح لفت خيطاً على اصبعها وقطعته من نهايته.

قالت دينا مازحة: «إحدى هذه اللوحات، يعتقد المرء لأنه موهوب يمكنه أن يعامل الناس وكأنهم غبار؟»

قالت أمبير: «لا.» وهي تحاول ان تكون عادلة: «ليس الأمر كذلك. انه فقط ينغمس كثيراً بعمله. واعتقد انه يجد صعوبة لايجاد أي مكان آخر في رأسه لأشياء أخرى.»

قالت هي تستدير بسرعة لتغادر: «انه يريد أن يرسمني.» فهي لم تكن تريد أن تخبر أحداً بذلك.

قالت دينا: «لم أكن اعلم انه يقوم برسم الأشخاص.»

اعترفت بصعوبة: «لا أعلم ان كان يريد أن يرسمني كشخص في لوحته.» فهي لا تدري لماذا وافقت في النهاية

على ما أخبرته به انه نوع من الابتزاز. لكنه أصر على انه الشرط الوحيد الذي سيجعله يأتي إلى سيدني.

كانت دينا تقول: «على الأقل ماتسون لن يرسمك فقط من جانب واحد من وجهك.»

قالت أمبير بأمل: «من المحتمل لأنه لن يرسمني أبداً. فبعد أن يصل إلى هنا سيكون مشغولاً جداً بامور اكثر اهمية.»

ضحكت فجاة، وعندما سألت دينا باهتمام: «ماذا؟» اخبرتها قصة المقبلات وكيف بقيت تحملها بسبب أن جويل شعر بميل نحو رسمها.

كتبت له رسالة عمل عن المعرض المقترح، وتلقت رسالة غير مفهومة، وعندما لم يصل لها جواب محدد عن موعد الافتتاح، ولم تتمكن من الاتصال بجويل عبر الهاتف، أرسلت فاكساً إلى هاري، تطلب منه خدمة أن يطلب من ماتسون محاولة الاتصال بها.

كانت لا تزال تعمل في وقت متأخر عندما وصل الاتصال. كانت تريد حمل حقيبتها والذهاب إلى بيتها، وقبل أن تمسك بالسماعة علمت انه جويل. أخذت أكثر من دقيقتين لتسيطر على سرعة أنفاسها قبل أن تجيب.

قال: «معرض غلينوريا.» مجيباً على ردها: «أمبير!»

قالت: «نعم.» مع انها كانت تعلم انه لم يشك أبداً بهويتها. لم يكن هناك شك بصوته، أيضاً.

سألها: «ماذا تفعلين؟»

قالت تخبره: «كنت سأذهب إلى البيت. ماذا كنت تفعل في الاسبوعين الماضيين؟ كنت احاول جاهدة الاتصال بك.»

«أعلم، تريدين اللوحات أليس كذلك؟»

تنهدت: «نعم، أريد اللوحات.»

«حسناً، اذن. كم هي الساعة عندك؟»

أخبرته الوقت، بعد أن نظرت إلى ساعتها.

قال: «وأنت تريدين الاقفال الآن؟»

«لا، لقد أقفلنا المعرض منذ ساعات. لكن هناك الكثير من العمل عليّ القيام به، فلدي معرضين آخرين على برنامجي قريباً مثل معرضك. والفنانون الذين لا يجيبون على الرسائل أو على الهاتف يزيدون من أعمالي...»

قال متلعثماً: «حسناً، اعتقد انه كان علي الاتصال بك.»

سألت بلطف: «هل المواعيد تناسبك؟ لأنني ما زلت استطيع تغييرها.»

أجابها: «ستكون مواعيداً رائعة.» لما تشعر انه لا يستطيع ان يتذكر عما يتحادثان؟ أضاف: «تبدين متعبة، لما لا تذهبين وترتاحين قليلاً.»

«هذا ما أريد القيام به بالتحديد.»

ضحك وقال: «كيف تذهبين إلى البيت؟»

«لدي سيارة، وهي بانتظاري خارجاً.»

«اهتمي بنفسك. فأنا أريدك قطعة واحدة عندما أرسمك، كما لا أريدك أن تقصي شعرك.»

وقبل أن تتمكن من الاجابة، أقفل الهاتف.

وصلت اللوحات قبله. ولأنها تعلم انه يفضل تعليق لوحاته بنفسه، حافظت عليهم في ملعب، وفي يوم وصوله أرسلت دينا إلى المطار كي تستقبله.

سألتها دينا: «ألا تريدين الذهاب بنفسك؟»

قالت أمبير: «لدي الكثير من الأعمال هنا، وليس من

الصعب عليك ايجاده. فانه كبير جداً اما سيكون يتجول كالخروف الضائع أو انه محاط بعدد من المعجبات.»

رمتها دينا بنظرة تعجب. فمن النادر أن تسمع من صاحبة عملها تلك اللهجة الغاضبة. سألتها: «هل أحضره إلى هنا أم أوصله مباشرة إلى الفندق؟»

أجابت أمبير بسرعة: «إلى الفندق، فسيكون متعباً، قولي له ان يرتاح، وأن يتصل بنا غداً عندما يريد أن يأتي ليعلق بنفسه لوحاته.»

لكن عندما رجعت دينا كان جويل يسير وراءها وهو يبدو وكأنه مسرور بنفسه.

بدأت أمبير: «دينا، لقد قلت لك...»

قالت دينا بأسف: «قال انه يريد...»

قاطعها جويل: «أريد أن أراك أولاً.»

كانت أمبير باردة جداً: «لماذا، هل هناك من مشكلة؟ اني متأكدة ان بإمكان دينا...»

قال جويل: «ان دينا رائعة.» ابتسم لها وتابع: «شكراً لك يا دينا.» بلطف سار معها نحو الباب وأغلقه وراءها. نظرت أمبير حولها مستسلمة، فها هو يربح ثانية. فدينا امرأة جميلة جداً ولديها صديق جيد، وهي ذكية جداً كي لا تتعلق به، لكن من الواضح انها تأثرت بجانبيته.

يبدو انه يريد ان يؤثر بها أيضاً. استند إلى الباب وأخذ ينظر اليها ناقداً: «لقد طلبت منك ألا تقصي شعرك.»

أجابت وهي تشد على اسنانها: «لم أفعل، منذ أن أعلمتني بذلك.»

كانت تشعر برغبة في الذهاب إلى المزين لتقصه قصيراً

جداً، لكن التعقل والحكمة منعاها. فهي لا تريده أن يخلف بوعده بشأن المعرض.

قال بلهجة غير مقتنعة: «مم، أفضل أن يكون أطول.» نظر إلى ثوبها ثم إلى عينيها الخضراوين، ابتسم. علمت انه قرر ألا يقول شيئاً عن ثوبها الأبيض والعاجي الرسمي. سألها: «كيف حالك؟» وهو يبتعد عن الباب.

«بخير، شكراً.» حافظت على نفسها هادئة مع انه دار وراء مكتبها ووقف بالقرب منها. تابعت بتهذيب: «وأنت كيف حالك؟»

قال: «بخير.» بصوت لا يظهر فيه أي احساس انحنى فجأة وقبلها، كرر: «بخير.» بينما هي ابتعدت عنه وانكمشت على نفسها بين المكتب والكرسي قال بهدوء: «هذه من هاري، لقد طلب مني أن أرسل لك حبه.»

قالت: «شكراً لك.»

أضاف: «وهذه، مني.» وأمسك بوجهها بين يديه الكبيرتين وقبلها ثانية... دفعته بقوة لتبعده عنها.

تراجع إلى الوراء، رافعاً حاجبيه، وقال: «لا؟»

أمسكت أمبير بكرسيها لتهدأ نفسها وقالت: «لا! أنت تأخذ الكثير مقابل حضورك.»

هز كتفيه وقال: «آسف.» لكن عينيه كانتا حائرتين وغير مصدقتين ما يجري، قال مقترحاً: «نستطيع أن نجرب غداً.»

قالت بسرعة: «لن يحدث شيئاً من هذا القبيل! وغداً سنعمل على تعليق اللوحات، وبكل الأحوال، حتى ولو لم نكن نفعل شيئاً...»

قال: «هناك دائماً المساء، فنحن نستحق عشاء شهياً بعد ذلك.»

قالت تنصحه: «لما لا تسأل دينا.» وتساءلت ماذا سيقول صديق دينا عن ذلك.

قال جويل: «انني أسألك أنت، ودينا إذا كنت تفضلين اعتقد انها ستقدر عشاء شهياً، أيضاً، بعد عمل يوم شاق.»

• • •

في النهاية كان العدد أربعة. فلقد حضر صديق دينا لرؤيتها، وبقي ليساعد في العمل، وعندما اقترحت أمبير إلى تسمية هذا اليوم، اليوم الكبير اتفق الجميع على الذهاب إلى مقهى لتناول شراباً ما. كان قد انتصف الليل قبل أن يغادروا، فقالت أمبير: «ساقلك إلى الفندق، جويل.»

قالت دينا بينما كانت تسير بجانب صديقها: «شكراً كثيراً، جويل.» من الواضح أن الجميع قد تمتع بوقته بالرغم من التعب الذي يسيطر عليهم، واكتشفت أمبير وجهاً جديداً في جويل. فلقد كان مصدر متعة وفرح في الأمسية، كما انها لاحظت انه يخفي ذكاءً لامعاً تحت مظهره غير المبالي.

قالت أمبير بينما جلس مرتاحاً في السيارة: «انه لعمل جيد منك أن تدفع عن الجميع، شكراً لك.»

أجاب: «وانه لعمل جيد منك أن توصليني إلى الفندق، أعلم انك تخفين فتاة جيدة تحت هذا المظهر القاسي.»

لم ترد عليه، محاولة أن تركز على قيادة السيارة في وسط ازدحام دائم في تلك الساعة من الليل.

ابتعدت قليلاً، وقالت: «بالطبع لا، لقد اعتدت على طريقتك في الكلام.»

«ما هذه الكلمة. هل تعتقدين انني مميز؟»

«أنت لست مميزاً على الاطلاق. اعتقد انك... صادق أليس كذلك؟»

قال: «اعتقد ذلك. فانا لا أفكر بذلك ابداً.»

«لقد فكرت بك كثيراً، مؤخراً.»

لم تكن تنظر إليه، شدت يديها على المقود أكثر، قالت: «ما زلت تريد أن ترسمني؟»

«هذا هو سبب مجيئي إلى هنا.»

«انه ليس السبب الوحيد!» تساءلت إذا كان حقاً مهتماً بتلك الصفقة الغريبة.

قال: «أن أرسمك؟ لا، انه ليس السبب الوحيد. أنت تعرفين ذلك.»

قالت بغضب: «أنا لا أعرف شيئاً...» وفجأة شدت على المكابح بحدة فقد مرت أمامها سيارة واستدارت بسرعة: «غبي!»

كان جويل يجلس براحة. غيرت أمبير ناقل الحركة بعد ان توقفت عند الاشارة الضوئية، وقالت: «عليّ ان أركز على القيادة.» فبقي صامتاً كل الطريق.

عندما توقفت امام الفندق قال: «اصعدي معي لنتناول شراباً ما!»

«لا، شكراً. عليّ أن اجد مكاناً لأركن فيه السيارة، وبكل الأحوال عندي الكثير من الأعمال غداً.»

قال: «سأذهب لأساعدك حتى النهاية، ولا تهتمي بنقلي، سأذهب سيراً على الأقدام.»

أبقت يديها على المقود، فتردد قليلاً، بعدها لمس خدها باطراف اصابعه وخرج من السيارة، وأغلق الباب خلفه بهدوء.

بعد أن علقت كل اللوحات، سمحت لدينا أن تغادر باكراً،

أما هي وجويل فقد جمعا الأوراق والأشياء المتبقية ونقلاها إلى المخزن الكبير في الجزء الأسفل من البناية.

وبينما كان يغسل يديه أحضرت شراباً لذيذاً وسكبت منه في كوبين قالت: «اعتقد ان علينا الاحتفال من أجل نجاح المعرض.» وبعد أن ناولته كوبه تابعت: «هل نتجول في المعرض لنتأكد من أن كل شيء على ما يرام؟»

هذا ما فعلاه وكل منهما يحمل كوبه بيده. لم يكن عرضاً كبيراً، فالمعرض متواضع، لكن أهميته تبدو لأنه يتألف من ثلاث طوابق، ويصل المرء إلى الطابق الثالث على درج حديدي. كانت الجدران الرمادية اللون تعكس جمال اللوحات المتعددة الألوان، وفي بعض الأماكن وضعت أقمشة من ألوان مختلفة وراء الأرض في إحدى اللوحات، كذلك سكان الشعب الاصليين حيث النساء ترتدي القبعات الكبيرة والثياب المزركشة.

وضعت في الطابق الأول والثاني مقاعد جلدية رمادية اللون ليجلس عليها الزوار، لكن في الطابق الثالث وضعت وسائد كبيرة متعددة الألوان، فقد كان من الصعب عليها نقل مقاعد مريحة على الدرج. عندما وصلا إلى هناك، أمبير في المقدمة وجويل يتبعها، رمى بنفسه على إحدى الوسائد ونظر اليها: «اتجلسين؟» قال ذلك وهو يقرب إحدى الوسائد إلى جانبه.

هزت أمبير رأسها، وذهبت نحو إحدى اللوحات لتمسك بإحدى زواياها ترفعها قليلاً ثم تعيدها إلى الأسفل.

تراجعت قليلاً إلى الوراء، وهي تحدق بها، فقال جويل: «انها جالسة وكذلك جميع اللوحات، لما تصبحين متوترة بقربي؟»

نظرت اليه وابتعدت اكثر، لتنظر إلى عائلة مع زوج من الخيول، يقفون جميعاً قرب بحيرة. الجزء الأكبر من اللوحة، يصور قرية وراء المجموعة وما تبقى من اللوحة يظهر أن عليهم قطع طريق طويلة للوصول. قالت: «إلى أين يذهبون؟»

أجاب بملل: «إلى أي مكان.»

نظرت إليه وقالت: «ألا تعلم إلى أين؟»

قال: «ألا تعلمين أنت؟» كان يجلس مرتاحاً على الوسادة، يشرب ما تبقى في كوبه.

نظرت إلى الصورة ثانية فرأت خشونة واضحة في وجه الرجال، وتصميم أكيد. بجانبه زوجته منحنية نحو الطفل الذي على ذراعها. وطفل آخر يمسك بتنورتها وينظر اليها.

قالت: «أستطيع القول نحو المستقبل المجهول.»

قال جويل: «أليس كلنا هكذا؟ متى أستطيع أن أرسمك؟»

«أنت حقاً لا تريد...»

جلس محدقاً بها: «أنا بالطبع أريد ذلك! لا تتهربي من ذلك الآن!»

«لم أفكر بهذا الأمر أيضاً...»

«لا، أنت لا تفعلين ذلك، أليس كذلك؟»

نظرت أمبير إلى الشراب في يدها وقررت بأسف ان الكمية المتبقية ليست كافية لتفسد له ثيابه ان رمته بها، قالت: «أنت أسوأ انسان قابلته...»

قال وهو يضحك: «صادق، ألم تقولي انني رجل صادق من قبل.»

«وسيء الطباع أيضاً. والصفتان واضحتان جداً.»

وضع كوبه على الأرض بعناية ونظر إليه باهتمام، قال: «لقد غضبت ثانية.»

«وكيف عرفت؟»

ضحك جويل: «تلمع في عينيك شظايا من الزجاج الأخضر.»

«هذا كلام سخيف تقوله.»

«لا أدري كيف، ولكنها الحقيقة.»

«انها ليست الحقيقة، انها بالكاد...»

«وكيف تعرفين؟ فأنت لا تريهما.»

«كلام مجازي!»

«ياه، أية كلمات تستعملينها، صاحبة القبعة الحمراء.»

قالت بانتصار: «ولقد أخطأت في ذلك، أيضاً.»

قال: «حسناً، لا أراك مثل جدتي العجوز، ولا تلك الفتاة التي تصطبغ باللون الأحمر، لكن لدي شعور انك تعتبرينني الذئب.»

نظرت إليه باستخفاف وقالت: «لا تكن سخيفاً!»

«حسناً، لما لا تتوقفين أنت عن ذلك وتاتين لتجلسي للحظة؟ لا بد انك متعبة. أنا اعلم ذلك لأنني متعب.»

«ربما ما زلت متعباً من جراء السفر.» سارت بقلق نحو الوسائد مد يده وشدها لتجلس على إحدى الوسائد.

جلست أمبير متوترة، وهي تنظر إلى الحائط امامهما وإلى الصور المعلقة عليه قالت: «اعتقد انها ستباع كلها، فهي لا توحي للناس بعدم الراحة...»

«يجب ان تكون كذلك.»

أكملت حديثها: «في البداية.»

نظر اليها وقال بنعومة: «لقد لاحظت ذلك.»

قالت: «لو لم ألاحظ ذلك، لما رغبت بعرضهم، فانا لست مهتمة بالعواطف.»

سأل ببرودة: «وما هو الخطأ بالعواطف؟»

هزت كتفيها، لكنه أبقى يده على كتفها، قالت: «أنت تعلم ما أعني، انها مجرد تفاهة في الحياة.»

«انني دائماً جاهز لقليل من التفاهة الآن وأبداً، فالمثلجات وشراب الشوكولا تغيير لذيذ بعد وجبة من الخضار الطازجة مع اللحم الدسم.»

«لكنك لا ترسم تفاهات.»

تحرك بقلق وقال: «أحياناً أتمنى لو استطيع ان افعل.»

«اعتقد انني أفهم ذلك.»

«حقاً؟» كان ينظر اليها، بعينين حازمتين، أمسك شعرها وأبعده عن وجهها كما فعل الليلة السابقة في السيارة. ضمها اليه أكثر بعد تردد قصير قبلها قبلة ناعمة.

قالت أمبير: «جويل، لا، توقف.»

للحظة فكرت انه سيتجاهل كلامها لكنه نظر اليها بعينين واستعين وقال: «أمبير؟»

«دعني، جويل، ابتعد عني.»

نظر إليها مستفهماً: «هل هذا ما تريدينه؟»

قالت بغضب: «بالطبع.»

وقف يراقبها وهي ترتب شعرها، ولا تنظر إليه. انحنت والتقطت الكوبين، متسائلة من ستلوم على تصرفها هذا.

وكأنه عرف ما يجول في خاطرها فقال: «لن تقولي لي إنني المسؤول عما حدث.»

قالت وهي تسير نحو الدرج: «بالطبع أنت هو المسؤول.»

قال: «لقد ساعدت في ذلك، انتبهي وأنت تنزلين الدرج.»

أسرعت بالنزول على الدرج وقد وصلت إلى الطابق الأول: «لا تعتمد كثيراً على ذلك.»

قال عندما وصلا إلى المطبخ ووضعت الكوبين في المغسلة: «أخبريني، على ماذا تريدين أن اعتمد.»

استدارت لتراه ينحني نحوها، ويداه تشدان على الطاولة، قالت بتوتر: «احتفال لطيف على شرف العرض الذي ستقدمه.»

«هل تحتفلين هكذا مع كل الفنانين؟»

«بالطبع لا!» طوال حياتها لن تجد ما تفكر به لتقوله غير ذلك.

عندها ابتسم وقال: «حسناً.» ابتعد عنها وتابع: «هذا ما اعتقدته.»

الفصل السادس

كان الافتتاح اكثر نجاحاً مما تخيلت امبير ولدهشتها، قص جويل شعره وظهر مرتدياً ثياباً لائقة ومرتبة. لقد بدا رائعاً، ولم تكن امبير الوحيدة التي فكرت هكذا. فلقد تجمع حوله الناس بالعشرات.

اما هي فبقيت مشغولة بالذين اظهروا رغبتهم بشراء اللوحات وفي خلال ساعة واحدة كانت هي ودينا قد وضعتا لاصقات حمراء على عدة لوحات.

كانت قد انهت شرابها عندما امسك جويل بذراعها، وقال: «هناك شخص يبحث عنك، يا أمبير.»

استدارت لترى اولاً عيني جويل، رأت فيهما حدة لم تكن موجودة من قبل وهو يراقبها، بعدها رأت ابتسامة هاري.

انحنى هاري وقبلها على خدها: «مرحباً، امبير.»

«هاري! ماذا تفعل هنا؟»

نظر هاري إلى جويل: «لم تخبرها انني قادم إلى استراليا؟»

قال جويل بلطف: «لقد اعتقدت انها ستكون مفاجأة جميلة، أليس كذلك، أمبير؟»

ابتسمت لهاري: «نعم، بالطبع، كم ستبقى هنا؟»

«انني اقوم بعطلة لمدة اسبوعين. فانا لم احضر إلى هذا البلد من قبل. وربما سأجد فناناً مثل جويل ماتسون وأنا هنا.»

قالت مازحة: «لقد اعتقدت انك قلت عطلة.»

وضع جويل يداً على كتف هاري، وقال: «علينا أن ناخذك إلى كل الأمكنة الجميلة، اليس كذلك يا أمبير؟»

نظرت امبير اليه والشك واضح في عينيها. بماذا يفكر جويل؟ لم يتسن لها الوقت لتكتشف ذلك. فلقد اقترب احد منها، وعليها ان تهتم به لأنه يريد شراء لوحة جديدة.

بقي هاري في المعرض حتى غادر الجميع ما عدا جويل وامبير. سألته: «اين ستبقى؟»

«في ذات الفندق الذي ينزل فيه جويل، فلقد طلبت منه ان يحجز لي غرفة.»

قال جويل مقترحاً: «لما لا نخرج جميعاً لتناول العشاء؟ أو نعود إلى الفندق لنأخذ عصيراً ما؟»

قالت أمبير معترضة: «لا بد ان هاري يشعر بالتعب، وكذلك أنا. ومن الأفضل، ان أوصلكما إلى الفندق الآن.»

بعد ان اوصلتهما إلى الفندق، تساءلت مرة ثانية ماذا يخبىء جويل بتصرفه. لقد قال، مفاجأة سارة حسناً، ربما لكن لديها شعور قوي ان لديه دافع خفي وهي تقدم حياتها لتعرف ما هو هذا الدافع.

• • •

اصبح الشعور اقوى بعد مرور اسبوعين. كانت امبير مشغولة جداً بالمعرض. اما جويل فقد جعل نفسه دليلاً سياحياً لهاري، اصطحبه في رحلة إلى الجبال الزرقاء وبعدها اخذه لمدة يومين إلى الساحل الذهبي، حتى انه اخذه في رحلة في الطائرة إلى أليس سبرنغ واريس روك.

وبعد فترة من عودتهما حجز جويل ثلاث مقاعد في الأوبرا وقام بدور المضيف لهاري وامبير طوال السهرة. ارتدى الجميع ثياب السهرة، كان جويل رائعاً، مع انه افسد ذلك فعند الاستراحة نزع ربطة عنقه ووضعها في جيبه.

بعد الاوبرا ذهب الجميع إلى العشاء، وبدا انه لاحظ للمرة الأولى ثوب امبير الحريري الأخضر، قال بلهجة تنم عن الاعجاب والتقدير: «هذه اناقة مفرطة.» وهو ينظر إلى ثوبها المشدود عند كتفيها: «كما ان شعرك اصبح افضل، ايضاً.»

كان شعرها لا يزال قصيراً ولكن اصبح اطول مما اعتادت عليه فقالت: «انه مزعج هكذا، كم تريد أن يصبح طوله؟»

«اطول من ذلك. اريده يحيط بكتفيك.»

بدا هاري منزعجاً قليلاً، فقالت امبير تشرح له: «يريد جويل ان يرسمني.»

«حقاً؟»

شعرت، انه ليس بحاجة ليبدو مندهشاً هكذا، بينما قال جويل بغضب: «اجل، انني اريد ان ارسمك. انا سأرسمك. وأنت وافقت على ذلك.»

اعترفت قائلة: «نعم، لقد قبلت.»

سأل هاري: «ومتى حدث ذلك، امبير؟»

قال جويل: «عندما وافقت على المجيء إلى سيدني من اجل المعرض، ولقد اعتبرت ذلك ابتزازاً.» وابتسم لها ابتسامة صغيرة.

تمتم هاري: «آه، لا اعتقد انك تستطيع تسمية ذلك ابتزاز.»

ونقل نظره بين جويل وامبير وتابع: «ربما، تحت الضغط، احب ان اراها عندما تنتهي.» نظر جويل إليه وهز كتفيه.

فقالت امبير: «لما لا تعفيني من ذلك، جويل؟ فانت لا ترسم الاشخاص، كما انك قد حصلت على مبتغاك.»

ارتفعت حاجبا هاري، فقال جويل: «انت تجعلين هاري يفكر بأمور لم تحدث، أمبير اي مبتغى تتحدثين عنه؟»

قالت: «انت تعلم تماماً انك قلت ذلك لتتخلص مني. فلقد اعتقدت انني لن اوافق، وبذلك تتخلص من القدوم إلى هنا، حسناً، لقد عملت على خداعك. لكنك لست بحاجة لتضيع الوقت لترسم لوحة لي فجميعنا يعلم ان رسم الاشخاص ليس عملك ولا اسلوبك.»

انحنى جويل على الطاولة نحوها وعيناه تشعان بالغضب، مع انه ابقى صوته ناعماً وهو يقول: «لن تتهربي من ذلك الآن، لقد وافقت على الأمر، وأنا سأقوم برسمك، ولمعلوماتك، انا استطيع ان ارسم صورة لك مثل أي فنان تريدين تسميته، واذا لم اقل افضل منه.»

اخذت امبير نفساً عميقاً، قبل ان تقول: «حسناً، لا احاول ان اقلل من قدرتك اذا كانت تريد الاستمرار بتلك المهزلة.»

مد جويل يده على الطاولة بغضب وهو يقول: «مهزلة؟»

وضع هاري يده على ذراع جويل، وعيناه المشتعتان بالثقة على وجه امبير المتقد احمراراً: «اهدأ، جويل.»

وتابع ببرودة: «تقول امبير فقط انها لا تشك بموهبتك.»

قالت بغضب: «فقط اشك بقدراته العقلية، بالتحديد، فما ان يضع فكرة برأسه، حتى يصبح مثل كلب يحمل عظمة. ما الغاية من رسمي؟»

قال هادراً: «وما الغاية من رسم اي شيء؟ كما وانك تكسبين عيشك من بيع اعمال الفنانين!»

نظر هاري اليها بامعان وهو يقول: «استطيع القول انك امرأة جميلة جداً، ولو انني املك الموهبة، لكنت رغبت برسمك بنفسي.»

ابتعلت امبير رغبتها القوية بالصراخ، وعوضاً عن ذلك ابتسمت له وقالت ببرودة: «شكراً لك. عزيزي هاري.»

قال جويل: «هاه!»

بدا الانزعاج واضحاً على هاري. فقالت امبير بنعومة: «ما هذا، جويل؟»

كان يهز رأسه آسفاً على هاري، قال: «انت لا تعرفها مثلي، فلا بد انك سترسمها جميلة ووردية اللون.»

«انت بالكاد تعرفني حتى!»

حتى هاري لم يكن يستمع اليها، نظر اليها باهتمام وقال: «لا، ربما، ارسمها خضراء مثل هذا الفستان. فانا اشبهك بـ حورية الغابات؟»

ارادت امبير ان تكتم غضبها فقالت: «هل يمكنكما الانتهاء فوراً.»

سأل جويل على الفور: «لا يرضي غرورك ان تكوني حورية؟»

قال هاري: «آسف، امبير، لم اقصد بكلامي اي سوء.»

ابتسمت له بحرارة وقالت: «اعلم، هذا مديح لي، بالطبع.»

تابعت متجاهلة نظرة جويل المشككة: «علي ان اعترف انني لم افكر بنفسي كهذا من قبل.» واخذت تضرب جويل من تحت الطاولة عندما رأت كتفيه يهتزان.

سيطر على ضحكته ورماها بنظرة حاولت ان تتجاهلها.

سأل هاري: «اذن كيف سترسمها؟»

اصبح وجه جويل هادئاً الآن: «لم اقرر بعد، ربما سأرسمها كالهرة النمرة.»

قالت امبير ببرودة: «الفكرة الدائمة، بالطبع.»

تابع جويل وكأنه لم يسمعها: «من نوع الافريقي الذهبي، صغيرة وشرسة.» لم تحاول ان تغضب، بل قالت بهدوء: «فكرة قديمة جداً.»

قال هاري، متأثراً بوضوح: «لم افكر من قبل مطلقاً انك شرسة، يا امبير.»

قالت: «ان جويل يسمح لخياله بالعمل على هواه، هاري.»

تجاهلها ثانية، وقال: «ما رأيك بذلك؟»

قال هاري: «سيدة بمعنى الكلمة، باردة، ذكية، حادة كالمسمار. لكن شرسة؟» عاد ينظر اليها وكأنه يدرس شخصيتها، هز رأسه رافضاً وتابع: «لا، لا اعتقد انها الكلمة المناسبة، يا جويل.»

ظهرت ابتسامة على وجه جويل وقال: «لا تعرف الا القليل...»

قاطعتهما امبير بقوة: «اذا كنتما لا تمانعان ايها المتعصبان، اعتقد انني افضل المغادرة الآن.»

نظر هاري وكأنه مذنب واعتذر منها على الفور. بينما ضحك جويل ونهض من الكرسي، سار وراءهما عندما فتح هاري الباب لأمبير لتخرج أولاً.

سأل جويل: «اليس هذا التصرف نوع من التعصب من قبل الرجل؟»

قالت امبير: «لا، انه نوع من التهذيب العام، أمر لا تعرف عنه أي شيء على الاطلاق.»

ضحك جويل بصوت عالٍ.

* * *

حضر هاري في اليوم التالي إلى المعرض كي يدعوها إلى الغداء. قالت تحذره: «سيكون غداء متأخراً فلا استطيع ترك دينا بمفردها عندما يكون المعرض مليئاً بالناس. لأن رسومات جويل تجلب الكثير من الزوار.»

وعندما خرجا للغداء اخيراً، قالت: «بالمناسبة، أين جويل؟»

«صديقي التوأم؟ لقد قلت له انني اريد شراء بعض الهدايا لأولادي فشعر بالملل من مرافقتي متظاهراً بأنني اريد التسوق. ولقد شاهد اعلان فقال انه ذاهب ليبحث عن استديو ليستأجره.»

قالت امبير: «لقد كان متحمساً لتمضيا اوقاتاً سعيدة هنا.»

«همم، بدأت افكر ليلة البارحة ان لديه دوافع اخرى لتصرفه هذا.»

قل ان تتمكن من معرفة سبب تفكيره هذا، سألها اين تفضل الذهاب فاقترحت مطعماً يونانياً حيث تعقد احياناً اجتماعات عمل مع الغداء. «انه لا يبعد كثيراً من هنا، تستطيع الذهاب سيراً على الاقدام، ويقدمون هناك سلطة شهية.»

عندما وصلا اختار هاري طاولة وراء شجرة نخيل كبيرة. بعد ما انتهيا من تناول الطعام وطلبا قهوة قوية ذكر

هاري جويل. وسألها بغموض: «ما الذي يجري بينكما؟»

اجابت امبير بغموض: «لا شيء.»

نظر اليها باهتمام: «ليس هذا ما شعرت به البارحة، وكما تظنين ان جويل مهتم جداً ليبقيني مشغولاً كل الوقت في النهار وفي الليل؟»

تمتمت: «يريدك ان تتمتع برحلتك، على ما اعتقد، كما وانه لم يحدث شيء البارحة ليجعلك تشعر ان هناك... اي علاقة بيني وبين جويل.»

«ما عدا الشرارات التي كانت تطير عبر الطاولة.»

«كلام لا معنى له، واذا كان هناك اية شرارات، فذلك بسبب اننا لا نحب بعضنا.»

«آه، لا؟ اعلم ان هذا ليس شعور جويل، بكل الأحوال، استطيع القول انه معجب بك منذ اللحظة الأولى التي رآك بها. مع انني اعترف ان لديه طرقاً غريبة باظهار ذلك.»

ابعدت امبير فنجانها، وقالت: «لقد حاول ان يقربني اليه في نيويورك، لكنني رفضت، وعندها قرر انني لا اعجبه بعد ذلك.»

«هل هذه هي الحقيقة؟»

«اجل.» مع انها لم تكن كل الحقيقة تابعت قائلة: «وعندما سألته ان يأتي على الافتتاح، قال انه لا يريد ذلك، لقد اعتقد انني جرحت كبرياءه.»

هز هاري رأسه مستغرباً، وقال: «لا يبدو هذا تصرف جويل لي، هل أنت متأكدة ان هذا هو السبب؟»

سألت امبير: «وهو يعقل ان يكون هناك سبب آخر؟»

قال بشك: «لا اعرف، ولكن لماذا يريد ان يرسمك اذن؟»

«لأنه عنيد جداً ولا يستطيع ان يتقبل الأمور ببساطة.»

هز رأسه ثانية وقال: «اعتقد انك تفسرين الأمور بصورة خاطئة، لكنني لم ادعوك للغداء معي لنتحدث عن جويل. اريد حقاً ان اعرف كيف تسير الأمور بينكما، لكن حسناً، هل فكرت بما قلته لك سابقاً في نيويورك؟»

امسك يدها بين يديه، وشعرت باجراس الانذار تقرع في رأسها، قالت بسرعة: «نعم، بالطبع.» لكن ضميرها ذكرها انها لم تفكر بالأمر للحظة واحدة وتابعت: «هل تعني انك كنت جاداً؟»

«لم اكن في حياتي اكثر جدية، نستطيع ان نعيش حياة سعيدة معاً، امبير على الأقل هذا ما افكر به. انت تعلمين، انني اتحدث عن الزواج، وليس عن علاقة عابرة.»

«هاري، لا اعتقد انني استطيع الزواج. انت تعلم، انني احبك كثيراً، لكنني ايضاً احب حياتي كما هي الآن.»

«ربما، الآن، فكري في المستقبل، امبير، ستصبحين وحيدة وتشعرين بمفردك.»

هزت رأسها: «اني آسفة، هاري. فأنا لست المرأة المناسبة لك اتمنى ان تجد المرأة التي تقدرك كما تستحق.»

ابتسم بحزن، ورفع يدها إلى شفتيه، قبلها قبلة صغيرة وتركها: «انني آسف، ايضاً. انه رفض كريم جداً، عزيزتي. اعتقد ان لديك الكثير من التجارب.»

اصرت امبير: «انني اعني ذلك، ستكون امرأة محظوظة جداً تلك التي ستصبح زوجتك، يا هاري. واعتقد انني غبية لذلك.» كان هاري افضل حزام امان يقدم لها في حياتها. امر مؤسف انها لا تجد أي حماس للفكرة.

ضحك وقال: «حسناً، اذا غيرت رأيك يوماً اخبريني.»

«نعم، لكن...»

اقترح بجفاف: «لا تقطعي انفاسي.»

هزت رأسها وقالت: «لكننا سنبقى صديقين دائماً؟»

كان يشعر بخيبة أمل، لكنها لم تعتقد ان قلبه قد يتمزق وهذا ما كانت تتمناه. فهاري رجل لطيف، ولديه القدرة على عدم اظهار ما يشعر به. قال مؤكداً لها: «بالطبع نحن اصدقاء، يا امبير.» دفع كرسيه ليقف وتابع: «دائماً وابداً.»

ما ان نهضت بدوره، حتى ابتسم لها وقال: «تبدين مضطربة، لا اريدك ان تشعري بالأسى. فهذا ليس ذنبك.»

عادا معاً إلى المعرض وهما يسيران جنباً إلى جنب، ترك يدها امام المدخل، وقال: «شكراً لحضورك، امبير، ولا اريدك ان تقلقي علي، عديني بذلك؟»

ابتسم وقال: «اتمانعين ان قبلتك قبلة الوداع؟»

ابتسمت امبير له بلطف. فلا يمكنها رفض ذلك.

ضمها اليه بحنان وقبلها قبلة سريعة قبل ان يربت على خدها، ويقول: «اراك في نيويورك، لا تتأخري في الذهاب إلى هناك، حسناً؟»

«بالتأكيد.» وقفت تنظر اليه مبتسمة وبعد ان غادر شعرت بالحزن قليلاً، بعدها استدارت لتدخل من الأبواب المفتوحة للمعرض...

هناك وجدت جويل يقف متكىء على احدى الأبواب، عاقداً يديه على صدره، ونظرة خطرة يصوبها نحوها.

شعرت وكأنها مذنبة، بعد ذلك، انزعجت من نفسها، فرفعت كتفيها بلا مبالاة ومرت من امامه مرفوعة الذقن.

قالت: «مرحباً، جويل، لم اكن اتوقع حضورك. قال هاري انك تبحث عن استديو.»

تبعها نحو مكتبها، وبالكاد نظر إلى عدد من الناس كانت تتجمع حول صورة. فتحت باب المكتب، وسارت نحو مكتبها لتضع حقيبتها في الدرج الأخير. عندما استقامت في وقفتها، رأت ان جويل ما زال امام الباب فقالت: «هل هذا يعني انك قررت البقاء؟»

دخل إلى الغرفة واقفل الباب وراءه قال: «قال لي هاري انه يريد شراء بعض الهدايا لعائلته، لم أرَ أنه يحمل أية رزم بيده.»

هزت امبير كتفيها، وسألت: «هل وجدت استديو؟» كان ينظر اليها وكأنه لا يستمع، بل كان يبدو وكأنه يحارب معركة قوية في داخله.

قالت بضيق: «جويل؟ هل وجدت مكاناً لتعمل فيه؟»

«نعم، اين ذهبت مع هاري.»

«ليتل ايثيز.» بدا وكأنه لم يفهم، قالت: «هذا مطعم، حيث يقدمون طعاماً شهياً. اين يقع هذا الاستديو؟ وهل هذا ما تبحث عنه؟»

«ما كانت رضيت به لو لم يعجبني.» كل ما فكرت به وهي تنظر اليه ان هناك نوعاً من الخداع أو الدهاء قد ظهر على وجهه وهو يتابع: «اتريدين القدوم لرؤيته؟»

«لا، شكراً، ليس الآن فأنا متأخرة كثيراً على عملي.»

عندها قال بغضب: «آه، غداء طويل، اليس كذلك؟»

بدا صوته يتهمها بشدة فقالت على الفور: «لم ألاحظ مرور الوقت؟»

«همم، كنت سعيدة جداً، أليس كذلك؟»

«هذا صحيح، لقد قلت لك كان الطعام شهياً.» ورمته

بابتسامة خفيفة وهي تتابع: «والآن، اعذرني لدي اعمال اريد القيام بها.»

ابعدت كرسيها عن المكتب وجلست عليها، فتحت احد الادراج واخذت منه قلماً ودفتر البنك. وعندما لم يتحرك جويل، نظرت اليه مستفهمة وهي تكاد تفقد صبرها، وتشد بالقلم على يدها.

سأل جويل: «لماذا كان يقبلك؟»

شعرت بالدم يصعد إلى وجهها: «لا اعتقد ان هذا الأمر يعنيك باي شيء، اليس كذلك؟»

كان عليها ان تكون اكثر معرفة لتجيب على سؤاله بسؤال آخر. بدا انه ينظر اليها باهتمام كبير، قال بغضب: «حسناً، لكنك لم تدفعيه بعيداً.»

أجابت امبير وهي اكثر توتراً: «لا، بدأ يشد خناقه علي، لكنت فعلت، والآن، كما قلت لك، اريد...»

تقدم جويل نحوها بسرعة اخافتها.

قال: «يشد خناقه.» انحنى نحوها واخذ القلم من يدها، ليرميه على المكتب ثم يضع يديه على الطاولة.

رفعت امبير رأسها، وتبدل الخوف في عينيها إلى غضب بارد، وقالت: «لا تلمسني!»

حدق بها وقال: «وانت لا تحاولي التحدي!»

سمعا طرقاً خفيفاً على الباب، وما ان فتحت دينا الباب حتى وقف جويل وابعدت امبير نظرها عنه. ووضعت يديها على المكتب براحة.

قالت دينا: «آه، لقد عدت.» ولاحظت وجود جويل فتابعت: «آسفة، لم ادرك...»

نظرت اليهما بقلق، بينما توجه جويل نحو الباب: «لا بأس. كنت سأغادر في الحال.»

وعندما ذهب، سألت دينا: «هل أنت بخير؟ تبدين مضطربة.»

قالت امبير: «لقد عدت بسرعة، معتقدة انك قد تكونين بحاجة لي.»

«لا، لم يأتِ عدد كبير من الناس، لكن هنا شخص اراد شراء لوحة. لقد كتبت كل شيء، لم اكن اعلم ان جويل هنا والا لما قاطعتكما.»

«لم يكن الأمر مهماً. كان فقط يخبرني انه قد استأجر استديو.»

«آه، حقاً، أين؟»

«لم يقل، فأنت تعلمين كم هو غامض. والآن، دعينا نرى ماذا فعلت اثناء غيابي.»

الفصل السابع

أوصلت أمبير هاري إلى المطار. وذهب جويل معها وعندما اقلعت الطائرة نظر اليها وسأل متمتماً: «أتريدين القهوة؟»

هزت رأسها وقالت: «عليّ العودة إلى العمل، فدينا بمفردها.»

اقترب منها أكثر وهما يسيران نحو السيارة قال: «ما رأيك بالعشاء معي الليلة؟»

«لا، شكراً.»

«لديك موعد.»

«لا، لا موعد لدي.»

«غاضبة مني؟»

توقفت لتنظر إليه: «ولما يجب أن اكون غاضبة منك؟»

نظر اليها باهتمام، ضحك وهو يقول: «بلا سبب، هل أنت بحاجة لسبب.»

لم تفكر يوماً في حياتها انها انسانة سريعة الغضب من قبل لكنها أدركت منذ أن تعرفت على جويل انها تمضي معظم الأوقات معه وهي غاضبة منه. ضرب أحد ما من الخلف، فاقترب منها أكثر، وضع يده حول خصرها وسار معها نحو الباب وهو يقول: «تعالي، لنخرج من بين هذا الحشد الكبير.»

جلس بقربها في السيارة بصمت حتى وصلا قرب

المعرض سألته أمبير: «هل تريد أن أقلك إلى مكان ما؟»

«المعرض مكان يناسبني.» ثم قال بصورة غير متوقعة: «متى ستبدأين بالجلوس امامي لأرسمك؟»

أجابت بحزم: «انني مشغولة جداً بعرض لوحاتك، كم من الوقت ستحتاج؟»

«ساعات، لكن ساعة واحدة تكفي كبداية، هل يمكنك القدوم اليوم بعد الانتهاء من عملك؟ سأقدم كل عشاء خفيفاً بعد ذلك.»

كانت قد رفضت دعوته للعشاء. لكن هذا يبدو مختلفاً فانه موعد للعمل.

قالت موافقة: «حسناً، لمدة ساعة.»

عاد لرؤيتها عند ساعة الاقفال، فقالت: «لست بحاجة لتنتظرني فقط اعطني العنوان.»

«لقد اعتقدت انه افضل لو اصطحبك بنفسي. فأنت لا تمانعين أليس كذلك.»

«لا، لكنني أملك سيارة.»

«حسناً، سأذهب.»

استغرق ذهابها إلى منزله خمس دقائق في السيارة. أوقفت السيارة امام مبنى قديم جهز ليكون شققاً معدة كاستديو. كانت شقة جويل في الطابق الأرضي. لم يتسنَ له الوقت بعد ليضفي عليها خصائص شقته في نيويورك، لكن كانت الأريكة ملىء بالثياب والجرائد، كذلك رأت حقيبة مفتوحة على الأرض في إحدى زوايا غرفة الجلوس. وبجانبها غرفة من الزجاج، خالية من النباتات توصل مباشرة إلى حديقة صغيرة امام الشقة. كان قد وضع

الحاملة في تلك الغرفة، حيث يقع الضوء مباشرة عليها. وكرسي الطاووس في وجهها مباشرة، كذلك وضع حاجز خشبي عند إحدى الزوايا.

قالت: «شقة جميلة.»

كان جويل يقف بالقرب من الحاملة قبل ان تستدير من امام النافذة، سألته: «حسناً، ماذا تريد مني أن افعل؟»

نظر بانتقاد إلى بدلتها بلون الكريم وقميصها الأصفر الحريري. قال: «اخلعي هذه الثياب أولاً.» قال ذلك وهو يشير بيده نحو الحاجز الخشبي: «خلف تلك...»

انفجرت أمبير غاضبة: «لن أفعل شيئاً من هذا القبيل! لقد قبلت أن ترسمني.. لكنني لم أوافق ابداً... لن اخلع ثيابي، واذا كان هذا ما تفكر به كان عليك قول ذلك.»

«أمبير...»

«لا! اذا أردت ان ترسم صوراً كهذه، أعرف الكثير ممن تقمن بهذا العمل.»

قال بصبر: «لا تغضبي، أريد فقط...»

«قلت لك لا. انسى الأمر.» وسارت نحو الباب مغادرة.

منعها عن ذلك، ممسكاً بيدها: «تعالي إلى هنا، أيتها المرأة الغبية!» وشدها بقوة خلفه نحو الحاجز الخشبي.

«لا تطلق علي مثل هذه الصفات! وإذا كنت تعتقد انك تستطيع اجباري...»

قال: «اصمتي، وانظري.»

أخذها إلى وراء الحاجز، هناك رأت كرسياً كبيراً، ومعلق على ظهر الحاجز عباءة طويلة جداً ولديها كمّين طويلان أيضاً مع ياقة عالية. كانت تبدو قديمة، ومصنوعة

من الحرير، ورسم عليها رسوماً نادرة ذات طابع شرقي. كان لونها الأساسي الزهر اللامع، لكنه تغير بسبب قدمها إلى لون غروب الشمس، والرسومات عليها تضم اللون الأزرق وتركواز والأخضر اللامع... ألوان الطاووس. وثبتت من الأمام بصف من الأزرار السوداء اللون.

قال جويل: «أريدك ان ترتدي هذا، هل هو متواضع جداً لك؟»

شدت أمبير على اسنانها من الغضب، وقالت: «كان عليك أن تقول هذا.»

قال: «كنت سأفعل، عندما بدأت بالصراخ علي.»

لمست القماش وقالت: «أين وجدته؟»

«في متجر بيع الثياب القديمة، ارتديه قبل أن يختفي نور الشمس.»

ارتدت العباءة، وعندما خرجت من وراء الستارة، وهي تشعر باحساس غريب في نفسها، أجلسها على الكرسي التي كانت بجانب الحاملة الآن، وهو يدير رأسها لتواجهه. رأت انها لم تعد امرأة بالنسبة إليه، فقد كانت نظراته عادية، حتى لمساته كانت بلا شعور، وكأنه يضع صورة ليرسمها، حتى عندما لمس ذقنها ليرفع وجها إلى الشكل الذي يريده. وعندما لمس شعرها ليبعده عن خديها ليسقط من وراء أذنيها إلى كتفيها، للحظة رأت في عينيه لمحة من التاثر عندما نظر إليها.

ذهب إلى الحاملة وبصمت بدأ يرسم بعض الخطوط بقلمه، بسرعة وبثقة واضحة، بعد ذلك اخذ يشطب ما رسمه وهو يقف بعيداً عن الحاملة، أو يقترب منها ليتاكد من بعض

التفاصيل الصغيرة. بعد فترة من الوقت أصدر صوتاً غاضباً، ومزق الورقة التي كان يعمل عليها، وبغضب واضح، بدأ من جديد.

جعلها ترتاح قليلاً، وغير طريقة جلوسها أكثر من مرة، لكنها ما زالت ترى الجلوس امام رسام أمراً كريهاً. كان لا يتكلم إلا نادراً، وهي لم تحاول ان تتحدث معه لأنها خافت ان تخفف من تركيزه.

كان يبدو غاضباً مما فعله، فقالت: «ألست راضياً عما تقوم به؟»

نظر اليها بشرود وقال: «همم؟ لا أدري بعد.»

«ساغير ثيابي.»

ابتعد عن الحاملة ووقف بطريقها: «أتمنى ان لا تفعلي.»

«لقد قلت انك انتهيت.»

«لقد وعدتك بتأمين العشاء لك. اعتقد اننا نستطيع تناول الطعام هنا. ألست مرتاحة بارتداء هذه؟»

هزت رأسها، بحزم وهي تقول: «افضل ثيابي العادية.»

ابتعد قليلاً وقال: «حسناً. لدي لحم وبيض وسلطة، أم تفضلين الذهاب إلى المطعم.»

قالت: «ما قلته يبدو كافياً.» واختفت وراء الستارة.

عندما اقتربت من المطبخ، ترددت في الدخول، قالت: «هل استطيع المساعدة؟»

قال مقترحاً: «لما لا تجلسين؟» وأشار إلى الطاولة في الزاوية التي وضع حولها كرسيين.

قدم لها وجبة شهية، وشكرته عليها عندما قدم الجبنة مع الخبز الفرنسي الساخن في النهاية.

قال: «تبدين مندهشة، هل تعتقدين انني أعيش على المعلبات والخبز؟»

قالت معترفة: «أنت تبدو اكثر سمنة من ذلك.» لكنها اعترفت بينها وبين نفسها أنها كانت مندهشة حقاً.

جلس براحة على كرسيه، وهو يضع قطعة من الجبن في فمه. وبعد ان مضغها جيداً وابتلعها، قال: «أنت حقاً لا تفكرين بي كثيراً، أليس كذلك؟»

«كفنان، أجدك رائعاً.»

اقترب اكثر من الطاولة، وعيناه تنظران في عينيها بتحد: «وكرجل؟»

ضغطت امبير بظهرها على الكرسي: «افضل ألا نتحدث بهذا الموضوع، جويل.»

«لكننا نتحدث به.»

«أنت تفعل ذلك.»

نهض عن كرسيه، فشعرت بالتوتر، مجبرة نفسها على ألا تشعر بالجبن لكنه وقف ينظر اليها بامعان وتفكير.

سأل اخيراً: «اتريدين القهوة؟» فهزت رأسها ممتنة. وبعد ان ناولها فنجاناً عاد ليجلس على كرسيه واخذ يحدق بفنجانه بينما كانت تنهي قهوتها.

قال فجأة: «ليس هاري بالرجل المناسب لك.»

قالت بحدة: «هذا قراري الخاص.»

نظر إليها: «و؟»

«وماذا؟»

قال بضيق: «و، هل اتخذت قراراً بشأن هاري؟»

سألت امبير: «كم مرة قلت لك ان تهتم بشؤونك الخاصة؟»

«لقد نسيت العد. ولكنك ستتخلصين من المشاكل إذا أجبت على سؤالي فقط.»

ربما سيكون من الأسهل عليها ذلك، لكنها قالت: «لا يحق لك أن تطرح علي هذا السؤال. شكراً على العشاء.» نهضت وابعدت فنجانها وهي تتابع: «والآن حان الوقت لأذهب إلى البيت. إلا اذا أردت ان اساعدك في تنظيف الصحون.»

نهض وقدم لها الجاكيت: «لا، ليس بتنظيف الصحون، هل يمكنك القدوم غداً؟ وفي نهاية الأسبوع.»

«إذا كانت تريد ذلك.» فكلما أسرع في الانتهاء برسم الصورة كان افضل لها.

قال ما ان اقتربت من الباب: «هناك شيء آخر.» وضع يديه على شعرها، فشعرت أمبير بخفقان سريع في قلبها. لكنه لم يكن يحاول ان يقربها منه عوضاً عن ذلك، كان يرفع شعرها بأصابعه، ويبعده عن خديها ليدرس كيف تبدو.

«جويل...»

قال: «نعم.» لكن جوابه كان استجابة لتفكيره. قال: «هل لديك دبوس أو أي شيء من هذا؟ أعني مشبك يرفع شعرك عالياً.»

«لا، لا يوجد...»

«اشتري واحداً.»

«جويل!»

نظر اليها مندهشاً ويداه ما زالتا على شعرها: «ما الأمر؟»

قالت بحدة: «انني لست زينة في مسرح، كما انني لا أريد دبوساً لشعري.»

قال ببرودة: «حسناً، سأشتري واحداً بنفسي، وهذا سيكون افضل، لأنني سأحصل على ما أريده.»

«ما تريد مني أن أضعه على رأسي.»

«هذا صحيح.» بدا وكأنه سعيد جداً بالفكرة.

بينما بقيت أمبير غاضبة كل الطريق وهي عائدة إلى بيتها.

• • •

غادرت العمل باكراً في اليوم التالي، وطلبت من دينا أن تغلق المعرض. قالت دينا: «ليس هناك من مشكلة، هل ستذهبين إلى مكان جميل؟»

اجابت امبير بيأس: «سأذهب إلى حيث انهى رسمي، لو ان جويل يقوم برسمه بطريقة صحيحة، اعتقد انه حتى الآن مزق أربعة صور.»

وجد جويل دبوساً لشعرها. ورأت ان عليها الاعتراف انه جميل، مشط طويل على شكل فراشة، مصنوع بعناية وذوق.

وضعت الدبوس في شعرها كما يريد جويل وجلست على المقعد، بينما كان ينظر اليها بطريقة اكدت لها ان لا شيء مهم له اكثر من عمله. اقترب منها واخذ خصلة من شعرها وتركها تسقط على خدها، بعدها انسحب إلى الحاملة. عمل لفترة طويلة صامتاً كعادته، وفجأة سألها: «هل وصلتك اخباراً من هاري؟»

«لا، هل أنت وصلتك أية أخبار؟»

قال بغضب: «لم أتوقع ذلك. هل تنتظرين أخباراً منه؟»

«ليس بالتحديد.» للحظة توقفت يده عن العمل، ونظر إليها مستفهماً. فتابعت: «لا بد انه سيتصل.»

هز جويل رأسه، وأعاد نظره إلى الورقة امامه. عندما قال: «خذي قسطاً من الراحة.» تجولت أمبير قليلاً في الغرفة لتريح اعصابها المشدودة بعدها سارت نحو النافذة، لتنظر إلى الباحة امام البيت. كانت مليئة بالأعشاب الضارة والطحالب تنمو في شقوق الممرات. رأت بعض النباتات الكبيرة في أوعية فخارية ونوع من النباتات المتعرشة تغطي حائط القرميد.

قالت بهدوء: «تحتاج حديقتك إلى العناية.»

قال جويل وهو يقترب ليقف بجانبها: «انها تعجبني. فهي تبدو جميلة بدون عناية.»

«انها تبدو بدون تنسيق ومن غير الحاجة لذكر ذلك.»

«انها لا تعجبك.»

هزت كتفيها وسارت مبتعدة: «انها حديقتك.»

قال: «لا تتحركي لدقيقة.» وعاد إلى الحاملة، ليضيف خطوطاً جديدة، بعدها طلب منها الجلوس ثانية، عمل بتركيز واضح لكنه كان يمزق الورقة بعد كل مرة ويبدو أشد غضباً مما يفعله. احياناً كان يتابع الرسم بعد ان يقول لها ان ترتاح. بعض الرسومات وضعها جانباً، والبعض الآخر مزقها ورماها على الأرض. قال: «هل أنت جائعة؟»

كانت قد جلست ليرسمها لمدة ساعتين فقالت: «اعتقد انني كذلك، سأحضر الطعام، إذا كنت تريد وان كان لديك ما ناكله.»

«لدي فواكه، جبنة، خبز ومقانق.»

كان قد تمدد على كرسي الطاووس عندما عادت لتقول له ان الطعام أصبح جاهزاً.

اعتقدت انه نائم، لكنها عندما اقتربت من الكرسي نظر اليها وقال بدون أية مقدمات: «أنت لا تريدينه، أليس كذلك؟»

«ما هو؟»

«هاري. لم أكن بحاجة لكل ذلك العمل.»

«لم تكن بحاجة إلى عمل ماذا؟»

«ابعاده عن طريقك. وأخذه إلى كل تلك الأماكن وخاصة اريس روك حتى انها لم تعجبه وقال: «انها كبيرة جداً، والآن هل يمكننا العودة إلى سيدني؟»

قالت أمبير: «انه معتاد للعيش في المدينة، سيكون مثل السمكة بلا ماء عندما يبتعد عن حياة المدن.»

هز رأسه مستغرباً: «لقد اعتقدت انه يريد الرجوع إليك.»

قالت بحذر: «هل أفهم انك حاولت عن تعمد ألا تجعلنا نلتقي مع بعضنا؟»

«لم تلاحظي ذلك بنفسك؟» وبدا انه سعيد جداً بنفسه.

لقد قال لها هاري ذلك مرة، لكنها رفضت أن تفكر بالأمر بجدية، قالت بغضب: «ولماذا فعلت ذلك؟»

قال جويل: «لا تمثلي دور المغفلة، أنت تعلمين تماماً لماذا.»

شعرت بالاضطراب. فهي تحاول أن تتجنب ذلك حتى في تفكيرها. لكن كان جويل مصمماً على جعلها تواجه الحقيقة. هزت كتفيها عن تعمد وقالت: «دعنا نأكل.» وبدأت بالسير إلى غرفة الجلوس.

نهض عن كرسيه وبلحظة اصبح بجانبها، قال: «لما تستمرين بالهروب؟»

أجابت بهدوء: «أنا لا اتهرب من شيء، أريد أن آكل.»

أمسك بيدها بسرعة، مانعاً إياها من متابعة سيرها،

قال: «انت تعلمين ما أعني.» وما أن تحركت لتغير سيرها، أمسك بذراعها الثانية وهزها قليلاً: «أنت تعرفين!»

أجبرت أمبير نفسها للنظر في عينيه، وهي تحاول ان تكون اكثر برودة، قالت: «حسناً، لا اعتقد انني سأكون الاخيرة. كما وانني لا افهم لماذا تتبنى تصرف المطاردة كالكلاب الضائعة!»

قال: «حسناً لا بأس، كما وان هاري ليس الرجل المناسب لك.»

قالت بحدة: «وانت تعتقد انك الرجل المناسب؟ لا تجعلني أضحك!»

قال: «انا لا اريدك ان تضحكي.» وبعدها شدها إلى بين ذراعيه وقبلها بحرارة.

عندما نظر اليها رأى في عينيها الغموض والدهشة. فابتسم ووضع اصبعه على فمها وقال: «هذا ما أريده.» وضع يديه الكبيرتين بحنان على خديها، وبقيت عيناه مسمرتان على فمها.

شدت أمبير على ذراعيه، وقالت وهي مبهورة الأنفاس: «جويل، لا تفعل.»

لم يتحرك وقال: «لما لا؟ لا تقولي انك لست سعيدة.»

«لا.. هذا الأمر لا يناسبني.»

ضحكت عيناه منها وقال: «لما لا؟ أنت لا تريدين العيش منعزلة عن الناس.»

قالت: «أنا لا أمزح، دعني جويل!»

اسقط يديه وقال: «حسناً، لقد تركتك والآن اخبريني أين هي المشكلة.»

«انني امرأة معتادة على الرفض.»

«بالتأكيد. ولكن هذا لا يعني ان ترفضينني أيضاً.»

«أنت تعتقد انك لا تقاوم، أليس كذلك؟»

«فقط بالنسبة اليك.» ضحك وهو يتابع: «هيا اعترفي بذلك.»

«هاه! لا بد انك محظوظ.»

«لكنك لم ترفضيني كلياً، أليس كذلك؟ على الأقل، هذا ما لاحظته.»

قالت معترضة: «كان بامكانك الملاحظة، لو انك تحاول التفكير بشعور أي شخص آخر غير نفسك.»

قال: «راقبي الفاظك سيدتي، استطيع ان اجعلك تتراجعين عن كلامك بلحظة واحدة.»

«لا تفكر حتى بالأمر.» قالت هذا وقفزت كسمكة تحاول العودة إلى الماء، أصبح جسدها كله جاهزاً للمقاومة، وكل اعصابها مشدودة ومتوترة.

قال جويل: «وانا قد حذرتك سابقاً من ان تتحديني!»

حدقا ببعضهما على بعد خطوتين فقط، شعرت أمبير بأن دمها يغلي في عروقها وان خديها مضرجان بالاحمرار. بدا جويل أكبر مما هو، ولقد كان مضطرباً أيضاً، عيناه غاضبتان ووجهه متجهم.

قالت بتوتر: «أنا اتحداك، لكنني لا اريد أن تتهجم عليّ.»

«انا لا افعل ذلك.»

«وماذا تسمي عملك إذن؟ لقد جعلتني...»

«لم اجعلك تقومين بشيء أنت لا تريدينه.»

«آه، هذا شيء نموذجي! انت تعلم ما أريد أكثر مني، على ما اعتقد؟»

قال بشراسة: «حسناً، فيما يتعلق بذلك، هذا صحيح!»

رفعت أمبير عينيها وقالت: «سامحني!»

فجأة ضحك وقال: «حسناً.» وعاد إلى طبيعته اللطيفة المتحدية بهدوء وتابع: «اذا كنت تريدينني أن أتقدم ببطء، سافعل لكنك احضرتني إلى هنا، أمبير، ولقد قلت لك انني لا أريد ذلك، والآن بعد ان اصبحنا هنا لن أتراجع بسبب توترك العصبي.»

حبست أمبير انفاسها، وقالت: «اعلم انك لم تكن تريد الحضور إلى سيدني، لكن اذا كنت تعتقد انني سأقدم...»

قال بصوت عال: «توقفي عن الكلام حالاً!»

صمتت، بسبب احتفاء الود والصداقة اللذين كان يشعر بهما، فلقد اصبح مخيفاً. قالت بهدوء: «من الأفضل ان أذهب.»

قال: «نعم، انك محقة تماماً. من الأفضل ان تذهبي.»

رفعت رأسها، وسارت مبتعدة عنه، سمعت خطواته وراءها، واجتاحتها رغبة في الركض. عندما اقترب منها ليفتح الباب، ابتعدت عنه بسرعة مما جعل ظهرها يضرب بالحائط بشكل واضح.

غضب جويل منها وقال: «انت لست خائفة مني، أليس كذلك؟»

ظهر على وجهها ابتسامة ساخرة، واجبرت نفسها على النظر في عينيه المندهشتين وقالت: «لا تكن سخيفاً.»

لكنها بقيت تشعر بنظراته الثابتة عليها بينما كانت تسير نحو سيارتها.

بدا بعد نهار السبت انه يبذل مجهوداً ليكون موضوعياً.

طلب منها ان ترفع شعرها بالدبوس، حتى انه لم يلمسها عندما جلست على المقعد الكبير، لكن ما أن بدأ يعمل حتى اصبحت تعابيره اكثر واكثر غضباً وكآبة، وأخيراً رمى القلم من يده، وأخذ يحدق بالخطوط التي رسمها باحباط واضح.

سألت أمبير: «لا تسير الأمور على ما يرام؟»

نظر اليها، وهو ما زال غاضباً: «أتمنى لو انت تفعلين.»

سألت: «ماذا يمكن ان افعل؟»

قال: «على الأقل، لا تريدين الاعتراف بما تودين القيام به.»

أبعدت نظرها عنه وقالت: «اذا كان هذا كل ما تفكر فيه...»

قال بحدة: «أنا لا اتكلم عن أية علاقات عاطفية، ألا تفكرين بأي شيء آخر؟»

قالت بسرعة: «أنا؟»

قال بجفاف: «نعم، أنت، فكل مرة اقترب منك تنظرين إليّ بتلك النظرة التي تقول: لا تتجرأ وتلمسني، ايها الحيوان! حسناً، سيدتي بصراحة انا لست مهتماً...»

«يسعدني ان اسمع ذلك!»

اعاد ما قاله بتعمد: «أنا لست مهتماً، لن احاول أن احب امرأة تصبح مرتبكة وخجولة كلما اقترب منها.»

وقفت أمبير: «خجولة! ذلك لأنني غير مهتمة لك، ولأنك تقتنع بأية امرأة، حتى ولو لم تكن تعجبك شخصياً.»

قال غاضباً: «ها أنت ثانية! اذا لم يكن هذا خجلاً، فانا لا اعرف ما يكون إذن!»

«لا فكرة لدي عما نتكلم.»

«هاه!»

«حسناً، لا أدري حقاً!»

قال متهماً: «تعلمين جيداً انني معجب بك! لقد اخبرتك ذلك! واذا لم اكن، اريد ان اعرف لماذا كنت أرغب بتقبيلك؟»

«إذا كانت هذه الحقيقة، فلماذا رفضت القدوم إلى سيدني؟ وهذه علامة واضحة انك غيرت رأيك بشأن اعجابك بي.»

حدق بها، وسأل متعجباً: «لا يمكن ان تصدقي ذلك، هل انت حقاً لا تشعرين بالامان إلى هذه الدرجة؟ لم أرغب بالمجيء لأنني معجب بك جداً، لكنك كنت تتصرفين وكأنني كالغبار على حذائك. قد يدهشك الأمر ولكنني لست قوياً عندما يرفضني أحد لذلك لم احاول وضع نفسي في موقف خاطىء. كما كان هناك شيء بينك وبين هاري.»

«لم يكن هناك شيء بيني وبين هاري... ليس جدياً، وبكل الأحوال...»

قال بحدة: «لم تخبريني بذلك، لم تقولي أي شيء عن الموضوع. إذن ماذا كان يمكن أن افكر؟»

قالت بعد تفكير: «لا شيء، اني آسفة، لكنني بالحقيقة لا يهمني بما تفكر.»

بدا غير مصدق مما تقوله، وكأنه معتد بنفسه قليلاً قال: «إذن لماذا كنت متحمسة جداً لاحضاري إلى هنا؟»

توهج وجه أمبير من الغضب، قالت: «لا تشبع غرورك، لقد أردتك هنا من أجل الافتتاح.»

«ولمدة اطول، لقد قلت، لعدة اشهر أخرى.»

«ذلك من اجل ان تنتج رسومات جديدة... كي ابيعها. لقد قلت لك، اعتقدت ان عودتك إلى الوطن قد تؤثر بك وتزيدك حماساً.»

ابتسم لها ابتسامة غريبة وقال: «هذا هو السبب الوحيد؟»

قالت ببساطة: «اني آسفة لأنني لم افهم. على ما اعتقد، انك معتاد على ملاحقة النساء لك. لكن بشأني انت مخطىء تماماً. انني اريد اعمالك، فنك، وليس انت وفي الحقيقة اعتقدت انك.. لم تعد مهتماً بي. ربما ما عدا كنوع من التحدي للهالة التي تحيط نفسك بها.»

سألها بلهجة غاضبة: «وأنت تحبين تنفيذ التحديات، أليس كذلك؟»

«بالطبع لا! انني فقط أحاول ان افهم تصرفك.» كانت تعتقد انه يفكر انها بالنهاية ستجد من الاجدى ان تخضع له. فهو ليس معتاداً على أن ترفضه أية امرأة.

نصحها بسخرية: «ما دمت تفعلين ذلك، لما لا تحاولين تفسير تلك القبلة البارحة.»

«أنا لم اقبلك.»

«آه، حقاً.» نظر اليها بغضب: «كفاك اطلاق الكلام هكذا لقد حذرتك سابقاً، ان استمرينا في النقاش على هذا الحال قد اصبح عدوانياً.»

انكمشت يدا أمبير على الفور، وارتجف صوتها وهي تقول: «صحيح، هذا أمر نموذجي في الرجال. كان يجب ان اعلم انك لست مختلفاً.»

فجأة، تقدم نحوها غاضباً، وقفت أمبير بتوتر

واندهشت بدورها عندما أمسك يدها وبلطف أبعد الأصابع عن بعضهم.

كانت اظافرها قد تركت أثاراً واضحة على راحة كفها. نظر اليها مستفهماً وقال موبخاً: «ليس هناك من حاجة لذلك.» ورفع يدها ليقبلها قبل ان تبعد يدها بسرعة عنه.

قالت بحدة: «وليس هناك من حاجة لذلك أيضاً.»

ابتسم جويل: «دعينا نخرج. لا استطيع متابعة العمل اليوم. لما لا نخرج قليلاً فكلانا بحاجة إلى الراحة.»

كان عليها القول ان عليها العودة إلى منزلها، لكنها عوضاً عن ذلك قالت: «إلى أين تريد الذهاب؟»

قال مقترحاً: «بعيداً عن المدينة، أريد رؤية الطبيعة.»

هناك وجدا الاشجار الضخمة الكبيرة ذات الألوان الخضراء والمتموجة حتى اللون الرمادي، كانت أوراق الاشجار تتمايل مع النسيم، والخنشار يغطي جذوع الشجر سارا في ممر تربته حمراء اللون يقود صعوداً إلى أعلى التلة حيث يقف المرء ويمتع عينيه بمنظر المدينة والمرفأ معاً.

وضع جويل يده على كتف أمبير بينما كانا يقفان يتمتعان بتلك المناظر الرائعة.

قالت أمبير: «لقد جف العشب منذ الآن، أتمنى ألا يكون الصيف حاراً جداً.»

علم جويل بما تفكر به من صوتها القلق فقال: «النيران؟»

«اجل، كانت السنة الماضية سيئة. فقد عدد كبير من الناس بيوتهم.»

«قرأت عن ذلك.» نظر اليها عندما أدارت رأسها لتواجهه

فتابع: «احصل على بعض الجرائد من هنا بعض الأحيان.»

ابتعدت عنه وهي تقول: «ليس لديك عائلة هنا، أليس كذلك؟»

هز رأسه نافياً وقال: «لقد كنت الولد الوحيد في عائلتي. ووالداي متوفيان.»

نظرت اليه باهتمام فتلك الجملة لم تخبرها شيئاً جديداً فلقد قرأتها عشرات المرات في مقالات كتبت عنه. من الواضح انها جملة قد اعتاد على قولها في المقابلات. لكن، ان تسمعها الآن منه، جعلها تشعر ان هناك أموراً كثيراً خلف هذه الحقيقة.

سألت: «هل كنت صغيراً؟»

«لا.»

قالت رغماً عن ارادتها، محاولة ان تتخيله وهو طفلاً: «كيف كانا؟»

«شخصان طيبان.» توقف قليلاً ليقول: «شخصان طيبان جداً، كانا يعملان في الدول النامية، في أماكن مختلفة من العالم. ولقد ماتا معاً في كمين مسلح، فقد حجزا تحت وابل النيران ولم يكونا مقصودين.»

«لم تذهب معهما، إلى تلك الأماكن؟»

«آه، لا. لقد أمضيت طفولتي هنا في اوستراليا، في مزرعة في جيبس لاند. لقد تركاني في عهدة جدي وجدتي عندما كان عمري لا يتجاوز الستة أشهر، لأن ذلك أشد اماناً لي، ولأن تحمل أعباء طفل صغير قد يعيق عملهما.»

«لا بد انهما كانا منصرفين جداً للعمل. هل كان يضايقك الأمر؟»

«احياناً، كانت تسألني والدتي ذات السؤال. هل يضايقك ذلك؟ وبعدها تغرق في سرد تفاصيل عن أهمية عملهما، وكيف يجب علينا جميعاً التضحية والعمل، من اجل السلام والرخاء في العالم أجمع.»

قالت أمبير بصوت لا يحمل أية ادانة: «كانت تشعر ان عملها هذا أهم لديها من البقاء مع طفلها.»

«هذا ما كان يشعر به والدي، وبكل الأحوال، كانت والدتي تؤمن ان على المرأة إطاعة زوجها في السراء والضراء.»

تابع جويل متذكراً: «احياناً كانت تبكي، فاقول لها ان ذهابها لا يزعجني واقول لها انني سعيد.»

استدارت أمبير لتنظر إليه، فتابع مدافعاً: «تلك كانت الحقيقة، في معظم الأوقات. لذلك لم أكن افتقد لهما كثيراً حتى توفيت جدتي.»

«كم كان عمرك آنذاك؟»

«في الثانية عشرة. وعندها اصبح جدي مريضاً وكثير النسيان، وكان عليه الذهاب إلى مركز لرعاية العجائز. أردت الانضمام إلى أهلي، لكنهما قالا ان هذا يشكل خطراً عليّ، وان علي متابعة دراستي. فذهبت إلى مدرسة داخلية، كانت مدرسة جيدة. وعندما أصبحت في الجامعة، قتلا. فلم يتسنَ لي الوقت لأتعرف عليهما جيداً.»

قالت: «هذا ما هو موجود في رسومات الباستيل. لا بد انه أمر مؤلم العمل على ذلك.» لم تفكر بالأمر عندما رأتهم للمرة الأولى، مع انها شعرت بالألم الموجود فيهم، وهذا ما يتعارض مع كل اعماله السابقة. فهذه تتحدث عن الوحدة

والهجرة. كل صورة تتكلم عن الحنين إلى الوطن، لكن هناك مسافات بين الناس والعودة. الأزواج والزوجات، الوالدان والأطفال. شعوب بيضاء وسوداء. كان يرسمهم دائماً في تنازع دائم، أو انهم يحدقون ببعضهم عبر مسافات بعيدة حيث يبدو للناظر ان تلك المسافة لن تُقطع.

قال جويل: «لا وجود لفنٍ حقيقي بلا ألم.»

www.elromancia.com

الفصل الثامن

بينما كانت أمبير تقود السيارة على طريق العودة إلى المنزل، سألها جويل: «هل ما زال والداك على قيد الحياة؟»

هزت أمبير رأسها.

انتظر جويل، وعندما لم تضف شيئاً، سألها ثانية: «ألديك أشقاء؟»

«لدي شقيقان، واحد في انكلترا، ترسل لي زوجته بطاقة بمناسبة الاعياد. والثاني انتقل للعيش في نيوزلندا منذ حوالي سنتين. إنهما يكبراني سناً. لم نكن أبداً عائلة متحدة.»

«لقد كنت دائماً افكر، لو أنني لست الولد الوحيد في عائلتي، لكان الأمر مختلفاً.»

قالت بجفاف: «ليس بالضرورة.»

نظر إليها بسرعة وقال: «وأنت، هل كنت سعيدة في طفولتك؟»

قالت بسخرية: «هل تتاجر بقصص الأطفال الحزينة؟ لا أتذكر الكثير عن طفولتي. لكنني كنت سعيدة أو حزينة مثل أي طفل آخر.»

كانت ضعيفة وخجولة، ولا تجيد أي من العاب، وجميع من حولها يهزء منها بسبب شعرها الأحمر. فقد كانت تشعر انها مرفوضة من قبل الجميع طوال فترة الطفولة. حتى انها لم تجمع حولها أية صديقة.

كانت تشعر بالخجل من دعوتهن إلى المنزل، لأن لا أم لديها لتصنع لهن الحلوى، وعلى الرغم من مجهودها الكامل لتبقي البيت نظيفاً ومرتباً، كان زوج أمها وشقيقيها يهزؤن من عملها ويرون أن المنزل في فوضى دائمة.

عندما اصبحت في سن المراهقة عانت الأمرين بسبب لون بشرتها الشاحبة وهذا لم يساعدها لتشعر بأنها فتاة جميلة كصديقاتها، وفي ذات الوقت، كانت تشعر بالخجل والحرج من أية كلمة تسمعها حتى ظنها الجميع انها انسانة غريبة الاطوار.

وعندما أصبحت ناضجة أدركت الحقيقة أن تلك الفتيات اللواتي كانت تحسدهن، يقمن بالمستحيل حتى يتخلصن من الوزن الزائد، كما وانهن يقمن بتغير لون شعرهن ليصبح مثل لون شعرها.

سألها جويل: «كيف دخلت في عالم المتاجرة بالفن؟»

«لقد كنت طالبة مجتهدة في الفنون عامة في الرياضيات وفي إحدى المرات اعتقدت انني قد أعمل في هذا المجال.»

«ولما لم تفعلي؟»

«لأنني لا أملك الموهبة الكافية. تعلمت ذلك في مدرسة الفنون. وقد عملت في معارض كثيرة في اوقات مختلفة ضمن أعمال أخرى، وعندما أتاحت لي الفرصة كي أشتري معرضاً صغيراً لم أفكر في البديل.»

«تصورين الأمر سهلاً جداً.»

لا يمكن أن يعلم كم من المرات نامت في العراء. لكن التصميم القوي على العيش من دون الاعتماد على أحد، وسنوات العمل الطوال في أكثر من مكانين واحياناً ثالثة،

مع توفير كل قرش ممكن، وصعوبة إيجاد مصرف يقرضها بعض المال بفائدة عالية. قالت: «لقد كنت محظوظة. فالمالك كان على استعداد أن يترك بعض المال في العمل.» لكن، وبعد أن حصلت على المعرض، لم يكن من السهل عليها دخول مجال الفن وهي لم تتجاوز الرابعة والعشرين من عمرها. لكنها كانت تعلم ماذا تفعل فلم تكن سهلة ابداً. وقد انشأت سمعة واضحة انها امرأة أعمال قاسية وحادة الطباع وبدهشة اكتشفت أن بعض الناس تدعي الخوف منها.

قال جويل: «اراهن، انك كنت أكثر من محظوظة، لقد عملت جاهداً لتحصلي على ما أنت عليه.»

هزت رأسها، وهي تشعر بفرح غريب انه عرف تلك الحقيقة، قالت: «وهذا، ايضاً صحيح.»

سألها: «هل من أجل هذا نسيت كيف تمرحين؟»

ظهر الضيق على وجهها، وعادت مخاوفها فوراً، فقالت: «لأنني لا أريدك فهذا لا يعني أنني لا أعرف كيف أمرح.»

كانت تعلم أنه ينظر إليها مفكراً، لكنها ابقت عينيها على الطريق. ضم يديه إلى بعضهما وجلس مرتاحاً في السيارة وهو يقول: «لا تستطيعين المقاومة، أليس كذلك؟»

نظرت إليه بسرعة وقالت: «مقاومة ماذا؟»

«هاه!»

«آه، هل يمكنك...» أرادت أن تتابع «ان تصمت.» لكن جوابها سيعطيه الاحساس انه انتصر عليها.

نظر إليها ثانية، وانتظر قليلاً، قبل أن يسألها بصوت مؤثر: «ماذا تريدين مني أن افعل، أمبير.»

قالت بسرعة: «ان تنضج!»

فانفجر ضاحكاً.

وعندما طلب منها أن تتوقف ليحضر بعض الدجاج والبطاطا لياكلاها عندما يعودان إلى الاستديو تمتمت قائلة: «لقد أصبح الوقت متأخراً.»

قال: «ليس متأخراً على الاطلاق. هل لديك موعد الليلة أو عمل ما؟»

لم يكن لديها أي ارتباط، لكن قبل أن تخترع واحداً أضاف مستسلماً. «أعلم أن لا دخل لي بذلك. لكن الأمر هو أنني أريد أن أقوم ببعض الرسم الليلة إذا كان لديك وقت لذلك.»

نظرت إليه، وهي تشك بلهجته المتواضعة وصوته الحيادي.

أضاف: «اعتقد أن الأمور ستكون أفضل الآن. حسناً، بعد أن ناكل ونشرب شيئاً ما سأحضر شراباً ما يريحك... يريحنا معاً.»

«إنني مرتاحة جداً، شكراً لك.»

بدا وكأنه سيبدأ بالمناقشة، أو بالضحك ثانية، أو ربما الاثنين معاً. لكنه لم يفعل بل قال: «سيريحني وبذلك استطيع أن أعمل بطريقة أفضل.»

«وماذا بشأن الضوء.»

تنهد وقال: «لم اتعرف يوماً على امرأة تضع العراقيل مثلك. لا تقلقي بشأن الضوء. سأتدبر الأمر.»

تناولا الطعام في الغرفة الزجاجية، وضع جويل قطعة كبيرة من القماش على الأرض ووضع عليها الطعام والأكواب وعلبة محارم ورقية ثم أحضر وسادتين كبيرتين ووضعهما بجانبهما.

سألت أمبير: «ألا تملك طاولة؟»

«نعم، لكن هذا أفضل، اتفعلين شيئاً من أجلي.»

رفعت أمبير عينيها عن وجبة الطعام على الأرض، وسألت بقلق: «ماذا؟»

«ارتدي العباءة... تلك التي اشتريتها لك.»

قالت بفكرها، تلك التي يريد أن يرسمها بها. طريقة كلامه جعلها تشعر وكأنها تحب فكرة ارتدائها.

«... ربما سقط عليها شيء من الطعام؟»

قال واعداً: «لن أرسم أية بقعة عليها، اسمعي، إنني أحاول أن أجلب جواً جديداً، حسناً؟ أريد أن ارسم امرأة وليس آلة عمل.»

غضبت أمبير، فأغمض عينيه، ثم فتحهما ثانية وقال: «آسف، لم اقصد ذلك ارجوك، أمبير، أريد أن أقوم بذلك بشكل صحيح.»

هزت كتفيها، وسارت عبر الغرفة إلى ما وراء الحاجز ارتدت العباءة. بدأت تشعر بالاعتياد عليها. أحست ببرودة ونعومة الحرير على جسدها ونزعت الدبابيس التي كانت ترفع شعرها بهم وتركته ينسدل على كتفيها كما يحبه جويل، ثم رفعت خصلة من الامام لتضع عليها الدبوس الذي احضره ايضاً. كان الثوب ضيقاً عليها مما يجعلها تبدو جميلة جداً وطويلة سارت قليلاً لتتعود على طول العباءة وعلى تأثيرها عليها.

عندما عادت إليه كان جويل قد سكب شراباً في الكوبين نظر إليها وهو يضع ابريق الشراب من يده. ولحظة لم يتحرك. بعدها أشار إليها لتجلس على إحدى الوسائد. كان الضوء خفيفاً، قالت: «لا يعقل أن تعمل هكذا.»

«لا تهتمي لذلك. سأحضر بعض المصابيح. سأضع اثنين هنا ان احتجت لهما.»

التقط علبة الدجاج وقدمها لها. أخذت أمبير قطعة وبدأت باكلها. بقي جويل يتكلم وهما ياكلان، بهدوء ومرح. أخبرها قصصاً حدثت له في نيويورك في بداية عمله الفني هناك. وعن اصدقائه الرسامين بعد أن انتهيا من تناول الطعام ومن احتساء كل الشراب، وجدت نفسها تجلس على الكرسي الطاووس، ساقاها ممددتان على الكرسي وطول العباءة يغطيهما. إحدى ذراعيها ملقاة براحة على المقعد، بينما كانت لا تزال تحمل كوبها باليد الأخرى.

كان جويل لا يزال يجلس على الأرض، واضعاً كوعه على احدى الوسائد، وهو يتابع حديثه.

صمت فجأة وهو يراقبها ترفع كوبها لتشرب منه.

قال بنعومة: «هذا ما أريده.» نظرت إليه مستفهمة فتابع: «لا تتحركي!»

نهض بسرعة، وما أن حاولت أن ترفع ذراعها عن المقعد حتى كرر بحدة: «لقد قلت لك، لا تتحركي! فقط ابقي كما أنت.»

ما أن نظرت إليه، محدقة بغضب، حتى توقف عن الابتعاد عنها، عاد وانحنى بنعومة وربت على ذقنها باصبعه، قال بنعومة: «أرجوك، أمبير، حافظي على طبعك الهادىء.»

هذا ما حاولت القيام به. كانت تشعر بالراحة والفرح، وبسرعة تخلصت من مخاوفها وضيقها. فكلما أسرعا في إنهاء هذا العمل، كان أفضل.

أحضر المصباح المناسب ووضعه في المكان الذي يرسل الضوء على الحاملة وكذلك ايضاً عليها. أخذ يعمل

باهتمام بالغ، فسألت أمبير: «هل استطيع أن أنهي الشراب؟»

نظر إليها وقال: «مم؟ آه، حسناً لا بأس.»

«شكراً لك.» وأخذت تشربه ببطء. نعم، لقد كانت مرتاحة جداً الآن. يعرف جويل كيف يحقق ذلك في اعماله.

وبدون سبب، رجع تفكيرها إلى مركز عمله في نيويورك، وإلى تلك الفتاة... ماذا كان اسمها؟... ترودي.

لقد كانت بالتأكيد مرتاحة، وهي تجلس على الاريكة وكأنها في بيتها.

قال جويل: «لما أنت غاضبة؟»

«أنا لست غاضبة.» وخففت الضغط عن خطوط حاجبها.

«إنك أفضل الآن. قليلاً.»

عمل بصمت لفترة. حاولت أمبير التفكير بشيء آخر، بعد فترة شعرت بأن يدها تكاد تتجمد وكذلك ظهرها قالت: «احتاج لأن أتحرك.»

تمتم جويل: «مم.» كان يحرك قلمه بخطوط واضحة وطويلة على الورقة. «جويل! إنني أشعر بالتشنج!»

نظر إليها، وقال: «حسناً، آسف، استريحي قليلاً.»

«شكراً لك.» رفعت يدها لتفرك كتفها، وباليد الثانية رفعت التنورة كي تنهض ولا تتعثر بها. اقترب جويل منها وأمسك بيدها ليساعدها على النهوض.

حركت يدها بصعوبة على رقبتها، فأدارها جويل بنعومة حتى وقفت تدير ظهرها إليه، ثم أخذ يفرك كتفيها ورقبتها ليخلصها من الألم والتشنج اللذين تشعر بهما.

قالت بعد لحظات، وهي تبتعد عنه: «شكراً لك، إنك ماهر في ذلك.»

«استطيع أن أريك أشياء كثيرة أنا ماهر فيها إذا كنت تريدين.» نظرت إليه غاضبة، فتابع: «ماذا فعلت الآن؟»

«لا شيء.» ربما ليس هناك أكثر من معنى في كلامه.

ابتسم فجأة، وقال: «لديك تفكير مليء بالشك، أمبير.»

«لا أدري عما تتكلم. هل رسمت بما فيه الكفاية اليوم؟»

اعترف على مضض: «اعتقد انك متعبة.»

هزت كتفيها وقالت: «أنا لست مختصة بالعمل كموديل.»

«لا بأس. هل تأتين غداً.»

«اعتقد ذلك، سأساعدك في تنظيف هذا.» واشارت إلى ما تبقى من الطعام على الأرض، انحنت والتقطت الوعاء والكوبين.

قال: «ليس من حاجة لذلك.»

قالت بجفاف: «لا أريد رؤيتهم هنا غداً عند الصباح.»

ضحك، وحمل غطاء الطاولة. «كنت قد نظفت المكان...»

«آه، طبعاً؟»

«قبل وصولك.»

نظرت إليه بشك مطلق، فتبعها نحو المطبخ، وقال معترضاً بلهجة حزينة: «أنا لست حيواناً.»

لم تجب أمبير، نظفت الكوبين ووضعتهما في خزانة صغيرة قرب المغسلة وغسلت أيضاً فنجان وصحن وجدتهما في المغسلة.

فتح جويل سلة المهملات ورمى فيها بقايا الطعام، نفض الغطاء قليلاً قبل أن يلفه ويرميه على الطاولة الصغيرة فوق كومة من الحرير والأقمشة الملونة، وصحن مليء بالفواكه

الطازجة ومجموعة من الرسائل المفتوحة. فكرت أمبير، إنه لا عجب لما لم يتمكنا من تناول الطعام على الطاولة. فليس هناك مكان فارغ!

قال متذمراً: «النساء كلهن سواء اطلب منهن أن يجلسن بهدوء، فلا يستطعن مقاومة العمل والتنظيف.»

نظرت أمبير حولها باحثة عن منشفة للصحون. رأت بين كومة الغسيل على الطاولة قطعة قماش مخططة، اقتربت منها وهي تقول: «بعض من هذه الفوضى مني، ولا أريد أن أراها في الصباح.» امسكت بالمنشفة وهي تتابع: «لا رغبة لدي أن تصبح عادة عندي التنظيف من ورائك.»

سأل بنعومة: «تفكرين في البقاء هنا الليلة، أليس كذلك؟»

تذكرت ما قالته للتو، فأجابت بحدة: «بالتأكيد لا، لقد طلبت مني الحضور غداً، أليس كذلك؟»

اتكأ على الطاولة وأخذ يراقبها بدقة وهي تجفف الأكواب. وعندما التقطت صحناً لتجففه قال: «لست المسؤولة عن تنظيف هذا.»

نظرت أمبير إليه وأعادت الصحن إلى مكانه، وضعت فوق المنشفة، وهي تقول: «إنك محق. افعل ذلك بنفسك، سأذهب لأغير ثيابي.»

قال جويل: «اتمنى أن لا تفعلي.» ومد يده ليوقفها عندما اقتربت لتمر أمامه. وضع يده باحكام على ذراعها، اقترب منها أكثر، وعيناه تشعان بالنور: «اتمنى لو تبقين.»

بعد ذلك، لم تعرف أمبير على من تضع اللوم فلم تجد نفسها إلا بين ذراعيه وهو يقبلها ويهمس: «أحبك هكذا، أرجوك، أمبير، ابقي هنا الليلة.»

قالت بصوت منخفض: «جويل... جويل.» كان عليها أن تقول لا، أنا لا أقبل بذلك... كان عليها...

لكنها نظرت إليه لتجد أنه يتحدث إليها بثقة أكبر ويقول: «قولي نعم، أمبير.» للحظة حدقت به، محاولة أن تفهم ماذا يحدث لها، لكنها كانت تعلم أن لا أهمية لذلك، فقالت أخيراً: «نعم، جويل.»

• • •

استيقظت ببطء، أدركت أولاً أن النور يسطع على عينيها، فلا بد أنه الصباح بعدها شعرت بشيء غريب، قبل أن تفتح عينيها.

رأت جويل، يجلس على كرسي في زاوية الغرفة، مرتدياً بنطالاً من الجينز وقميصاً، كان يحني رأسه فوق دفتر كبير، ويرسم بخفة، نظر إليها وقال: «هاي!» بطريقته المعتادة، وتابع الرسم.

أدركت أمبير أين هي فتحركت بسرعة، قال: «لا تتحركي.»

جلست أمبير، وقد استيقظت كلياً، قالت بحدة: «جويل، توقف عن ذلك.»

تمتم: «بعد دقيقة، لقد قلت لك لا تتحركي.»

قالت بغضب أكبر: «وقلت لك توقف.» بسرعة اقتربت منه وخطفت بسرعة أكبر الدفتر من يده، مزقت الورقة التي يرسم عليها ورمت الدفتر أرضاً.

حاول جويل أن يأخذ الورقة منها مزقتها بسرعة إلى عدة قطع قبل أن ترميها في سلة المهملات وهي تقول: «لا تفعل ذلك ابداً معي.»

حدق بالأوراق المرمية بدهشة غريبة: «لم تكن صورة للعرض.»

قالت: «لم اسمح لك برسمها، كيف يمكنك أن تتدخل بشؤوني الخاصة هكذا.»

بدا وكأنه مصعوق من شدة الدهشة رفع عينيه إلى وجهها وقال: «إنني آسف، لم أفكر بالأمر هكذا. كنت اعتقد أنها ستكون هدية لك.» تغير تعبير وجهه بعدها وأصبح أكثر قساوة وهو يتابع: «معظم النساء...»

رفعت أمبير رأسها ونظرت في عينيه بتحد، فتابع وهو مضطرب: «أعني...»

قالت بلهجة مدمرة: «استطيع أن احزر ماذا تعني، إني متأكدة أن معظمهن ممتنات لك... لاهتمامك. فبذلك يحصلن على صورة مميزة للرسام الشهير ماتسون.»

شد على شفتيه بغضب، لكنها رأت أن الهجوم أفضل أنواع الدفاع فقالت ثانية: «كم عدد النساء اللواتي يعلقن مثل هذه الهدايا في غرفهم الخاصة؟»

ضحك بغضب وهو يقول: «هل تعتقدين أنني سأجيب على سؤالك؟»

قالت: «لا.» فلا بد انه نسي العدد وأضافت ببرودة: «لا اهتم لذلك مطلقاً.»

قال وهو يقف أمامها مباشرة: «آه، لا. ولما تتصرفين كإنسانة غيورة إذن؟»

رأت خلف غضبه ابتسامة النصر، فشعرت بالم كبير، حاولت أن تسيطر على ألمها وغضبها، فقالت بحزم: «أنا لا أشعر بالغيرة فقط أشعر انني فقدت إحساس الكرامة... وهذه غلطتي لوحدي.»

«فقدت الاحساس بالكرامة!»

«ما كان علي التصرف هكذا.»

قال ببطء: «لماذا، تصورين الأمر وكأنه اهانة؟»

حاولت أن تبتسم، بقلق وبراءة قالت: «إهانة؟ كل الذي قلته...»

«فهمت ما قلته!» سأل وهو يقترب منها: «ما الأمر، أمبير؟»

تراجعت مبتعدة: «لا شيء، لا أحب الحديث في الموضوع. هل تمانع ان لم نعد نتكلم بالأمر؟»

قال: «ماذا، ونتابع حياتنا وكأن شيئاً لم يحدث بيننا؟»

«نعم، بالتحديد، هذا ما اريد بالضبط، جويل.»

شعر بغضب عارم يجتاحه فقال: «كيف يمكنك قول هذا؟»

رفعت كتفيها بحذر وقالت: «اسمع، أريد أن أذهب.»

نظر إليها ببرودة وقال: «لا.»

شعرت بالغضب منه، فهي لا تعجبها طريقة نظراته إليها. بعد ذلك قال بدون اهتمام: «عودي إلى الاستديو. لم انتهِ من عملي بعد.»

بعد ذلك أدار ظهره لها وخرج من الغرفة.

وصلت إلى أنفها دائمة التوست المحمص والقهوة بينما كانت تستحم وتسرح شعرها، وعندما دخلت الاستديو وجدت جويل يقف بجانب النافذة ينظر إلى الحديقة وهو يحمل قطعة من التوست بيد وفنجاناً من القهوة باليد الأخرى. رأت أنه كان يمزج الألوان وقد جهز أكثر من فرشاة لاستعمالهم وورقة الرسم قد استبدلت بقطعة من الخشب القاسي.

استدار عند دخولها وقال: «تريدين شيئاً للأكل.»

«فقط القهوة، شكراً.»

عندما عاد من المطبخ كانت قد جلست على الكرسي. وأخذت فنجان القهوة منه وهي صامتة.

ابتعد عنها، وانتظر حتى انتهت من قهوتها، اقترب ثانية ليأخذ الفنجان وأمسك بمعصمها بشدة وهو يرفعها عن الكرسي ويقول: «كما كنت تجلسين مساء البارحة، وذات الانطباع، من فضلك.»

نظرت إليه فرأت تعابير وجهه لا تظهر شيئاً، ففعلت كما قال لها، محاولة أن تتبنى تماماً ذات الاحساس.

لكنه قال: «لا.» وحرك ذراعها ثم رأسها وقال بغضب: «استريحي، هل أحضر لك شيئاً؟»

حاولت أن تبقى هادئة، مع أن الأمر صعب عليها، فقالت: «لا، لكنني كنت أحمل كوباً بيدي البارحة.»

عاد إلى المطبخ ورجع وهو يحمل كوباً مليئاً بعصير الفواكه: «حسناً.»

أخذته منه وهي متأثرة بتصرفه وقالت: «شكراً لك.»

ابتسم لها ابتسامة غريبة، وعاد إلى الحاملة. التقط فرشاة وبدأ الرسم بهدوء وباهتمام كبيرين كان قد وضع آخر رسمة على الطاولة بجانبه، لكنه بالكاد كان ينظر إليها، فقط كان ينظر إلى أمبير بقوة وبتركيز بارد.

شعرت أمبير أن ظهرها يؤلمها، فحركت كتفيها قليلاً، نظرت إلى جويل فرأته ينظر بغضب إلى اللوح أمامه، فعادت إلى جلستها القديمة.

تشنجت يدها وكأن مئات الأبر والدبابيس تشك بها، مدت أصابعها قليلاً، فقال جويل: «لا تتحركي.»

شعرت بالعطش، فأخذت تشرب من كوبها عندما ترى أن جويل لا ينظر إليها. أصبح جسدها كله في غفوة.

رمى جويل الفرشاة في وعاء مليء بمادة سائلة، وقال: «حسناً، هذا كل شيء لليوم.»

وضعت أمبير الكوب من يدها، ووقفت بصعوبة على قدميها. كانت تشعر أن قدميها تؤلمانها وظهرها يحترق كما أن رقبتها متشنجة ورأسها مصاب بصداع قوي.

كان جويل يراقبها بانتباه، فقال: «ماذا بك؟»

قالت بحدة: «لا شيء سوى أنني بقيت جالسة ساعات عدة، وكلما حاولت أن أتحرك كنت تصرخ بي.»

قال بصدق: «لم أصرخ عليك أبداً، كان عليك أن تقولي أنك تشعرين بالتعب.»

كانت تعلم أنها تستطيع القيام بذلك، لكنها لا تدري ما الذي منعها قالت: «أريد أن انتهي من كل هذا، فلدي الكثير من الأعمال علي القيام بها.»

«أعلم ذلك. أريد الانتهاء منها أنا أيضاً، لكنني لا استطيع الاستمرار بالعمل اليوم.»

«هل استطيع رؤيتها؟»

وقف أمام اللوحة كي لا تراها وقال: «عندما تنتهي.»

هزت كتفيها وقالت: «حسناً، إذن، استطيع الذهاب إلى البيت.» سارت نحو الحاجز لتبدل ثيابها.

عندما عادت رأته يقف بجانب النافذة، كان ينظر إليها بحدة وهي تسير بالغرفة لتمر من أمامه.

بدا وكأنه لن يقول لها شيئاً، فتوقفت لتقول: «هل تريدني بعد؟»

ابتسم لها ابتسامة شرسة. فانزعجت من نفسها وأضافت: «كي أجلس أمامك.»

«نعم.»

«لقد اعتقدت انك رسمت ما تريده.»

قال: «لا استطيع المتابعة من خلالهم. إني بحاجة لك. علي أن أعمل على هذه الصورة من الأصل.»

«إنها تأخذ الكثير من وقتي.»

«ووقتي أيضاً.»

«إنها فكرتك!»

«وأنت تكرهين كل لحظة تمضينها هنا، أليس كذلك؟»

«أنت تعلم انني لم أرغب بالقيام بذلك.»

«وهل لهذا تبتعدين عني؟ ولا ترغبين في تقديم أي شيء من أجلها؟»

قالت تذكره: «لقد قدمت لك ساعات وقمت بكل ما تريده مني! ماذا تريد أكثر، قل لي؟»

قال: «أريدك أن تكوني على طبيعتك، دعيني أرى ما تخفينه وراء هذه الشخصية الغامضة. لقد تمنيت أنك ستسمحين لي أن أرسمك وعندها تشعرين بالراحة معي، وتدعيني أرى شخصيتك الحقيقية. مما تخافين، أمبير؟ ما الذي تخافين أن أعرفه أو أجده فيك؟»

قالت ببساطة: «أنا لست خائفة من أي شيء، أنت تتخيل الأمور، كل ذلك بسبب أنني لا أرتاح للاستفادة مني.»

«الاستفادة منك!»

«نعم، لا يمكنك أن ترسم الناس بدون علمهم وبدون موافقتهم. ألم تسمع أبداً بمخاوف الذين يعملون كموديل للرسم؟»

«لقد قلت لي انني استطيع أن ارسمك. ليس برغبة منك ولكن لقد وافقت على ذلك.»

«لكنني لم اوافق على ما تحاول أن تفعله!»

نظر إليها بغضب وقال: «لقد أخطأت، أليس كذلك؟ لقد اعتقدت أنك هذا الصباح ستكونين مختلفة. لكنك أشد صمتاً وأكثر تزمتاً. كان يجب أن أرسمك وأنت ما زلت نائمة، قبل أن تجدي الوقت لتجدي صدفتك وتختبئين فيها من جديد.»

www.elromancia.com

الفصل التاسع

شعرت أمبير بالمرض، كان عليها ان تعرف... ان تعرف... كم ان جويل لا يهمه شيء سوى عمله وفنه. تساءلت هل يؤثر على كل من يتعامل معهم حتى يصل إلى الانطباع الذي يريده؟

قالت: «انني آسفة انك لم تصل إلى ما تريده. انني مشغولة جداً هذا الاسبوع، لكنني استطيع القدوم لساعة أو اثنين بعد ظهر الاربعاء، اذا كان هذا يناسبك.»

بدا عليه انه ساخط قال: «هل استطيع رؤيتك قبل ذلك؟»

«لا اعتقد انني املك...»

«امبير...» امسك بذراعيها وكأنه يريد ان يهزها.

صرخت بقوة وعيناها تلمعان: «دعني اذهب، جويل!»

تركها بسرعة وقال: «ما الذي يحدث لك؟ لم اكن اهاجمك!»

«فقط لا تلمسني. مفهوم؟»

قال ينكرها: «لم تمانعي لمستي لك البارحة!»

صرخت مضطربة: «اصمت، هل سمعت، لا تتكلم.»

رد غاضباً ومحبطاً: «انا لا افهمك، أمبير، لا أحد يصدق ان هناك شيء حدث بيننا.»

«اتمنى لو انه لم يحدث! اتمنى حقاً ذلك!»

وسارت بتصميم نحو الباب، واغلقته بعنف وراءها في وجهه الحائر.

كانت تعمل في مكتبها بعد ظهر نهار الاثنين، عندما اطلت دينا برأسها من باب المكتب وقالت: «يريد جويل ان يراك.»

ارادت ان تقول لها ان تصرفه، فهي مشغولة لكنه سار إلى الداخل، مع كلمة شكر صغيرة إلى مساعدتها مع ابتسامة مميزة من ابتسامته الساحرة.

قالت: «نعم؟» بينما كان يغلق الباب وراءه بشدة. «هل هناك من مشكلة؟ انني متأكدة ان باستطاعة دينا مساعدتك...»

قال: «لا تستطيع دينا مساعدتي فالأمر لا يتعلق ببيع اللوحات. اريد التحدث معك أمبير.»

نظرت بحدة إلى الورقة امامها على المكتب: «ليس لدي الوقت لذلك.»

قال مقترحاً: «ما رأيك بان نخرج سوياً للعشاء، لا يمكنك العمل كل الليل.»

نظرت إليه وهي تفكر بجملة للاعتذار، لكنها رأت تلك النظرة المصممة فهو لن يرضى باعتذارها، تنهدت وقالت: «حسناً لا بأس، اننا نتكلم عن عشاء في مطعم ما.»

ضحك براحة وقال مؤكداً لها: «في مطعم، لا مزيد من الدجاج والبطاطا على الأرض.»

ليس هذا ما كان يقلقها. لقد تمنت انه في مكان عام سيجد من الصعوبة ان يتصرف على سجيته، ومن المؤكد انه سيلتزم بتصرفاته.

امسكت قلمها منتظرة منه ان يغادر. نظر اليها متفحصاً

ثم ضحك ضحكة صغيرة وقال: «سأعود إلى هنا ساعة اقفال المعرض.»

تمكنت من تسريح شعرها وترتيب نفسها قبل وصوله. تطلع جويل إلى بذلتها بلون الكريم باهتمام لكنه لم يقل شيئاً. بدا وكأنه بذل مجهوداً ليكون انيقاً هو أيضاً. كان يرتدي قميصاً ملونة جديدة وبنطلوناً ازرق اللون، كذلك حذاء غير رسمي.

قال: «لقد علمت ان هناك مطعم ايطالي قريب من هنا، يجعلك تشعرين وكأنك ايطالية الجنسية.» قالت امبير انها لا تمانع بالذهاب اليه، فلقد تناولت العشاء فيه من قبل. وهي توافق كل ما سمعه جويل عنه.

طلبت فيتسني مغطى بصلصة الجبن، بينما تناول جويل صحناً من الرافيولي. ولم يتحدثا بأمور شخصية الا عندما كانا يشربان الكابتشينو مع الكريما بالبهارات، قال وهو ينظر اليها مفكراً: «تعلمين انني اريدك.»

نظرت أمبير اليه باضطراب وقالت: «حتى الفنانين المشهورين لا يحصلون على كل ما يريدونه.»

استند إلى الطاولة ونظر في عينيها مباشرة قال: «حسناً، والآن اخبريني حقيقة ماذا تريدين؟»

ترددت أمبير. بعدها تنهدت وقالت اخيراً: «اريدك ان تدعني وشأني جويل.»

قال: «إذن ما كل هذا الذي كان بيننا؟»

قالت ببرودة: «لم يكن هناك من شيء. والآن هل ستطلب الفاتورة أم افعل أنا؟»

قال غاضباً: «انا سأفعل، فلقد دعيتك أليس كذلك؟»

«نعم شكراً لك، كان عشاء...»

قال بقلق: «لا تقولي رائعا.»

• • •

كما وعدت، أتت إلى الاستديو نهار الاربعاء وجلست على الكرسي امامه ثانية.

سألها ما ان فتح الباب لها: «ماذا فعلت لشعرك هذه المرة؟»

رأت انه اصبح طويلاً كفاية كي تطويه مثل الفرنسيات، وظنت انه يبدو بذلك اكثر ترتيباً ويجعلها تبدو كسيدة اعمال.

قالت بحدة: «أنت من تريده طويلاً، ولا استطيع ان ادعه يحيط بوجهي ويسقط على كتفي طوال الوقت.»

«لماذا؟»

«انت تقصد، لماذا لا؟ لأنني لا استطيع تحمله كذلك. ولا يمكنني ان افعل شيئاً ان لم يعجبك هكذا.»

«لم أقل انه لا يعجبني.»

ربما يتعلم أن يصبح لبقاً. أو ربما حقاً يعجبه؟ كان يبدو عليه وكأنه يفكر ان يتخذ قراراً بشأن ذلك.

ابتعدت أمبير عنه وقالت: «سأذهب لأغير ثيابي.»

عمل جويل بصمت حزين، لكنه كان يتنكر كل فترة بمنحها بعض الوقت كي ترتاح.

سألته: «هل هناك المزيد من الجلسات؟»

قال: «واحدة أو اثنتين تكفي.»

بعد ان بدلت ثيابها، سألها: «تأتين في نهاية الاسبوع؟»

ترددت في بداية الأمر لكنها قالت: «نعم، سآتي. عندها ستنتهي منها، أليس كذلك؟

سأل بقلق: «يجب ذلك، لا تستطيعين الانتظار، اليس كذلك؟»

«أنت تعلم كيف اشعر بشأن ذلك.» التقطت حقيبتها، وسارت نحو الباب.

ضحك بنعومة: «بالطبع خائفة.»

استدارت لتنظر اليه: «لا تكن سخيفاً! انها فقط مضيعة للوقت ولا فائدة مرجوة منها، هذا كل شيء. اني متأكدة انك كنت ستجد موضوعاً اهم لتعمل عليه.»

هز رأسه وقال: «اطلاقاً، انت أمر مهم مثل تلك القصص القديمة التي نقرأها والذين يعتقدون ان أوراقهم تسرق منهم اذا رسمهم احد. وانت تعتقدين انني اريد سرقة روحك، أليس كذلك؟» شيء في تعابير وجهه جعلها تتردد في الاجابة.

احنى رأسه قليلاً وقال مفكراً: «كلا، لا اريد سرقتها، اريد فقط... ان اجعلك ترينها بصدق ربما.»

«لا، أنت تريد ان ترسمها لكل من يريد ان يراها.»

«وهل هذا ما يخفيك؟»

«انا لست فنانة، جويل لا استطيع ان اظهر نفسي على حقيقتها.» الفنانون مثل جويل يأخذون هذه المخاطرة ويعرضون كل ما لديهم لانتقاد أي شخص ينظر إلى اعمالهم. اما هي فلا يمكنها القيام بذلك، وهذا هو اهم الاسباب الذي منعها من ان تصبح فنانة بنفسها.

اقترب منها اكثر ماداً يديه وبدون ان تفكر وضعت يديها

عليهما. شعرت بلمسته مريحة جداً، قال واعداً: «لن اريها لأي كان، اذا لم توافقي اتفقنا.»

اضطربت وهي تقول: «شكراً لك، لكنني لن اطلب ذلك، اذا كانت جيدة، فمن الضروري ان تعرضها.»

«هل ستسمحين لي؟»

سحبت يديها من يديه وقالت: «لست بحاجة إلى سؤالي، فهذا لم يدخل في اتفاقنا، اليس كذلك؟»

قال: «بكل الأحوال، العرض ما زال سارياً.»

• • •

عندما اخيراً وضع الفرشاة جانباً نهار الأحد التالي قال بهدوء: «لقد انتهينا.» لم تطلب امبير ان ترى اللوحة.

نهضت ببطء، وهي تشعر شعوراً غريباً. قالت: «سأغير ثيابي، إذن.»

نظر اليها والتعب واضح على وجهه قال: «انتظري. علينا ان نحتفل.»

قالت بقلق: «لا اعتقد...»

«بلى، تعالي. لقد احضرت شراباً خصيصاً للمناسبة في البراد.»

«هل انتهيت حقاً؟»

نظر إلى الحاملة وقال: «لدي مزيد من العمل علي القيام به لجوانب اللوحة، لكن دورك انتهى.»

فكرت، انها سعيدة بذلك. لكنها لم تكن مقتنعة من سعادتها. لما شعرت فجأة انها حزينة وحزينة جداً؟

امسك بيدها وقال: «تعالي.»

دعته يقودها إلى المطبخ، وبهدوء غريب حملت كوبين وعادت إلى غرفة الجلوس بينما احضر جويل الشراب. عندما سكب الشراب. رفع كوبه امام صمتها ولم يقل شيئاً بل جلس بجانبها وجو من التعب المفرح يحيط به، استدار نحوها وابتسم لها.

شعرت أمبير باحساس من الشوق اليه. فحاولت ان تخفيه، ابتعدت عنه قليلاً ورفعت كوبها لتشرب منه.

قال: «ليس عليك القيام بذلك، فأنا متعب جداً، ولن احاول التقرب اليك.»

فكرت امبير بالتظاهر انها لم تفهم ما يقول، لكنها لم تفعل بل قالت: «آسفة ساعد لك العشاء، ان كنت تريد.»

حرك كتفيه وكانهما مخدرتين وقال: «لا بد انك متعبة أيضاً.»

قالت: «ليس مثلك، سارتاح اكثر ان تحركت قليلاً بعد كل هذا الجلوس، ماذا لديك في المطبخ غير الشراب؟»

ابتسم لها وقال: «ماذا ساحتاج غيره؟ جبنة، حليب، بيض، بعض الخبز، واعتقد القليل من المعلبات.»

«سافكر بشيء ما اصنعه.»

وضع يده عليها بحنان وقال: «ليس الآن، اجلسي بعد قليلاً.» اغمض عينيه، فتساءلت ان كان قد غلب عليه النعاس، لكنه رفع كوبه وشرب القليل منه، فتح عينيه ونظر اليها مبتسماً، قال متاملاً: «هل ستبقين معي الليلة؟»

ابعدت يديها وقالت: «لا، ساطبخ طعامك وبعدها سأغادر على الفور.»

قال: «لن تفعلي شيئاً الا اذا تناولت العشاء معي، على الأقل يمكنك البقاء حتى ذلك الوقت.»

وقفت أمبير وقالت: «سأذهب لأرى ما يمكنني تحضيره.»

وجدت هناك كل ما تحتاجه لتصنع سوفيليه مقدمة من الجبز المقطع قطعاً صغيرة مع زبدة والمقانق الحرة كذلك مع قطع صغيرة من الثوم والانشوفة.

عندما عاد جويل كان قد استحم وحلق ذقنه. لمعت عيناه باهتمام عندما دخل إلى المطبخ تلبية لندائها، راقبها وهي تضع الطعام على الطاولة بعد ان اعادت كل الأغراض التي كانت عليها إلى اماكنهم.

بعدما انتهيا من تناول الطعام قال: «شكراً لك، أمبير اين تعلمت الطهو؟»

قالت وهي تحمل الصحون: «من أمي.»

«هل كانت تشبهك؟»

«لا، فأنا اشبه والدي، مع انني لا اتذكره.»

«لا بد انك كنت صغيرة جداً عندما توفي.»

«لقد كنت طفلة عندما ترك أمي.»

«أوه؟ وكان عليها ان تعمل لتعيلك انت واخويك، إذن؟»

اجابت على مضض: «لا، لقد تزوجت ثانية.» وضعت الصحون في المغسلة وعليهم السكاكين والملاعق.

قال: «على الفور.»

«لا، لكن على ما اعتقد ليس بعد وقت طويل.»

بينما كانت تبحث على سائل للتنظيف سالها جويل: «وكيف كانت علاقتك معه؟»

كانت تدير ظهرها له، تضع المنظف وتصب المياه فوقه،

قالت: «لقد اعتدت على التفكير ان القمر والنجوم اجتمعوا في شخص واحد.»

«إذن، هل هو الذي مات؟ ام والدك الحقيقي؟»

«لقد قتل والدي الحقيقي في حادث في المصنع بعد سنوات قليلة من تركه لنا.»

كان جويل يضع يديه على الطاولة وهو يراقبها تعمل: «وزوج امك؟»

استدارت فجأة لتواجهه، وقالت: «كل ما اعرفه انه حي ويعيش في مكان ما، ولا أدري اين هو، هل هذا يكفي؟ ام هناك المزيد من الامور تريد ان تعرفها؟»

وقف جويل وقال: «لماذا انت غاضبة هكذا، اريد ان اعرف هل هجرك بعد وفاة والدتك؟»

«لا، لم يفعل! حتى بعد ان غادر شقيقاي بقي يهتم بي حتى اصبحت استطيع الاعتماد على نفسي. ولقد تزوج ثانية، ولم اعد اراه.»

«لماذا؟»

«آه، لا ارغب برؤيته.» ورمت الصحن بسرعة إلى مكانه، فانزلق وسقط على الأرض.

نظرت بغضب إلى القطع المتناثرة، حدق جويل بها مستغرباً، ثم انحنى ببطء واخذ يجمع القطع.

قالت وهي تشعر بالعصبية: «اني آسفة، كان ذلك عدم اهتمام مني، سأحضر لك غيره.»

«لا تكوني سخيفة، انه فقط مجرد صحن.» وضع القطع المتناثرة على زاوية الطاولة، نظر اليها باهتمام وقال: «لم اقصد ان ازعجك.»

«لم اكن منزعجة.» فحرك رأسه غير مصدق، وتابعت: «كانت يداي رطبتان فانزلق.»

«لم يرق لزوجته الجديدة ان تذهبي لزيارته؟»

رفعت امبير عينيها وقالت: «لا تستطيع ترك أي موضوع الا لتكون انتهيت من بحثه، أليس كذلك؟ لم ارغب ابداً بزيارتهم. ولقد ذهبت لرؤيتها مرة.»

«ولم تكن زيارة ناجحة.»

ضحكت بجفاف وهي تقول: «يمكنك ان تقول ذلك.»

سأل باهتمام: «هل كنت تشعرين بالغيرة منها؟»

لم يكن يتوقع ان يصبح وجهها ابيض من كثرة الانفعال. اغمضت عينيها، ومازالت يداها في الماء. قالت وهي تضغط على اسنانها: «لا، آه، ارجوك، جويل، هل تمانع ان لم نتابع الحديث؟»

اقترب منها وضمها اليه، ثم قال: «انني آسف، آسف.»

ارتجفت، وابتعدت عنه، وهي تقول: «حسناً، الاعتذار مقبول.»

بدا عليه الغضب من ذلك، فقالت: «اعلم انك تريد مساعدتي، لكنني لا اريد ان تلمسني.»

تنهد بعمق، وابتعد عنها حتى استند إلى الطاولة، وهو يلف يديه على صدره. بدا عليه انه لا يفهم شيئاً، لكنه سألها: «لما لم تغيري ثيابك بعد؟»

تعجبت أمبير من سؤاله، قالت: «لم يتسن لي الوقت.» نظرت إلى العباءة الجميلة وقالت: «لقد نسيت.»

قال بنعومة: «نسيت، انها تعجبك، أليس كذلك؟ في اعماق اعماقك.»

«لم افكر بالأمر، هذا ما اردتني ان ارتديه ففعلت. سأذهب لأغير ثيابي الآن.»

ابتعدت عنه فقال: «يمكنني المساعدة، اذا كنت تريدين.»

توقفت أمبير عند الباب، ولم تنظر اليه كان عليها ان تقاوم احساساً بالشوق اليه واحساساً آخر بالخوف، فقالت: «لا جويل، ابداً.»

قال: «الابد وقت طويل.» لكنه تركها ترحل.

• • •

بعد مضي عدة ايام اتصل بها في المعرض وقال: «اتريدين الحضور لرؤية صورتك؟»

كان عليها ان توقف دقات قلبها المتسارعة قبل ان تجيب: «لا، شكراً لك.»

«الا تشعرين بالفضول قليلاً؟»

«ليس بالواقع.»

قال يتهمها بنعومة: «خائفة؟»

«لا.» مع انها كانت تشعر بأن اطرافها باردة ويدها تمسك بالهاتف بقوة، اقترحت: «أنت كنت مهتماً كثيراً بان اراها. يمكنك احضارها إلى المعرض اذا كنت تريد.»

ساد الصمت فترة، قبل ان يجيب ببطء: «حسناً، سافعل ذلك.» واغلق الخط.

لم تتوقع ان يحضر بهذه السرعة، لكن لم يمر اكثر من عشرين دقيقة، عندما كانت امبير تتحدث مع دينا بشأن المعرض الجديد، حتى دخل جويل وهو يحمل لوحة مغطاة.

قال لأمبير: «في مكتبك؟»

«انتظرني دقيقة.»

تابع سيره إلى المكتب، فقالت دينا: «هذه صورتك؟»

«اعتقد ذلك، ما رأيك في الزاوية هناك، تحت الضوء مباشرة؟»

«نعم، بالطبع، هل استطيع رؤيتها؟»

قد يساعدها ذلك فقالت: «تعالي اذا كنت تريدين.» لم يكن هناك احد في المعرض في تلك الساعة.

نقل جويل نظره بين أمبير ودينا وكان وجود تلك الأخيرة قد فاجأه، لكنه لم يقل شيئاً. وقفت المرأتان امام الباب بينما كان ينزع الأوراق عن اللوحة ويضع اللوحة على مكتب امبير كي يتمكنا من رؤيتها.

صرخت دينا في الحال: «أوه!» ونظرت بسرعة لأمبير الذي كان وجهها ينم عن قناع جامد، لا يظهر شيئاً.

كان الانطباع الأول للوحة... الألوان قوية. فلقد بالغ بالوان الطاووس على العباءة، وجعل طول الرداء يصل إلى الأرض، أما لون شعرها فقد كان يشع بالاحمر النحاسي. كذلك الدبوس في شعرها يظهر لمعانه بشدة واحدى خصلات شعرها تلف حول رقبتها كالجرح. اما الكرسي الذي كانت تستند عليه بدا اكبر مما هو وجعله يبرز متناسقاً مع طول الرداء على الأرض.

كان الشكل والكرسي لا يحتلان إلا الجزء الأعلى من الصورة، ففي الجهة السفلى رسمت قدم رجل كبيرة على الأرض المخططة مع ظل لبنطلون جينز وبين صورة القدم وصورة المرأة على الكرسي بدا بشكل سريع لكتفين. لكن

ظل الرجل منتشر في الصورة، وبالكاد يلامس الطاووس على العباءة.

وبصورة غير ارادية، سمحت أمبير لعينيها ان تتلاقيا مع عيني اللوحة لصورتها. كانت عيناها تبدوان كبيرتين بشكل واضح، في وجه بلغ فيه الضعف والشحوب. فطريقة رسمه لوجنتيها، لرأسها وانحناءة وجهها، جعلها تبدو وكانها مخادعة أو ماكرة. بدت كهرة قلقة، عديمة الثقة وجاهزة للانقضاض على أي كان للدفاع عن نفسها.

شعرت بأن اسنانها تصطك بألم، وبأن نبضها يتسارع حتى تكاد تسمع دقات قلبها بأذنيها، حاولت ان تهدأ، تنفست بهدوء لفترة قبل ان تقول: «انها صورة جميلة جداً.»

نظرت اليها دينا متفاجئة: «هل اعجبتك؟»

ارادت ان تقول، اكرهها! اكرهها، ولا اعتقد انني سأسامحه يوماً، لكنها عوضاً عن ذلك قالت وهي تضحك: «لست متاكدة بعد، قد يتطلب ذلك مني بعض الوقت لاتخذ قراري. لكنها صورة جيدة.»

لم تنظر إلى جويل فهي تعلم انه كان يراقبها، منتظراً منها ان تفعل ذلك، لكنها لم تستطع ان تقابل عينيه... مع انها كانت تعلم انه سيقدم على عمل من هذا النوع. قالت: «يمكننا الحصول على سعر جيد فيها، اذا كنت تريد تقديمها إلى المعرض جويل.»

قال بحدة: «لا، لن افعل ذلك.» وحمل اللوحة ليضعها على الأرض، اضاف: «دينا، هل لي بقليل من القهوة؟»

اجابت دينا: «اجل، بالطبع، هل تريدين القهوة أيضاً أمبير؟»

هزت رأسها موافقة مع انها كانت ترغب بشراب اقوى من القهوة.

غادرت دينا فأسند جويل نفسه على المكتب مبتعداً عن الباب وبذلك اصبح اقرب من أمبير.

قال بصوت أجش: «هل حقاً تريدين بيعها؟»

اجبرت نفسها على النظر اليه اخيراً: «بالطبع، يمكنني الحصول على عمولة جيدة في هذه.»

قال بقسوة: «انت تحاولين جاهدة القيام بذلك، أليس كذلك؟»

«انه عملي انا...»

«ليس عملك أن تكوني امرأة اعمال باردة.»

ارتجفت عيناها وهي تقول: «وهل انت تتنمر؟ لقد حصلت على مبلغ كبير من المال بفضل قدراتي العملية. لقد بعت لك الكثير من الاعمال.»

قال بعنف: «حسناً، لكنك لن تبيعي هذه!»

رفعت كتفيها: «بالطبع، اذا كنت لا تريد ان تضعها في السوق، فهذا قرار يعود إليك.»

قال: «هل حقاً تضحين بنفسك هكذا؟»

فكرت، لقد فعلت ذلك أنت. نظرت اليه اخيراً، والكره واضح في عينيها، قالت ببرودة: «كما قلت للتو، أنا اولاً واخيراً امرأة اعمال بالطبع سافعل.»

وقف يحدق بها لأكثر من دقيقة. كان يبدو شاحباً، في البداية كانت عيناه تتحديانها بعدها امتلأت عيناه بالشفقة

الغاضبة مما جعلها تشعر بالخوف لكنها رفعت ذقنها أكثر وبقيت تنظر إليه محاولة جاهدة ان تبقى باردة وقوية وان لا تسمح للفتاة الصغيرة في داخلها بالصراخ من الألم والغضب.

قال اخيراً: «حسناً، افعلي ما تشائين.»

وغادر على الفور، ليمر أمام دينا بطريقه وهي تحمل بيدها فنجانين من القهوة.

شربت أمبير القهوة بدلاً منه.

الفصل العاشر

لم تستطع أمبير ان تعلق اللوحة في المعرض وتنتظر من يشتريها. وعوضاً عن ذلك سوقتها بشكل خاص مع بقية أعمال لمعارض أخرى. ولقد تفاجأت عندما أرسل لها هاري غايتس فاكساً يقول انه وجد من يريد اللوحة. فلقد باع الكثير من أعمال جويل في نيويورك، ولا بد ان لديه من يرغب بشراء المزيد. شعرت بالراحة ان الصورة ستذهب إلى مكان آخر من العالم. وإلى شخص لا يعرفها.

طلبت من دينا أن تتصل بجويل ليعلم بشأن البيع، فهي لم تره منذ أن غادر المعرض، تاركاً اللوحة لها. وهي لم ترد رؤيته، هذا ما حاولت اقناع نفسها به، متجاهلة المشاعر القوية التي تحس بها نحوه.

عادت دينا لتقول: «لم استطع الاتصال به، إن خطه مقطوع.»

قالت أمبير بعد لحظة: «من المحتمل انه نسي ان يدفع الفاتورة، سأمر عليه بعد العمل واعلمه بالخبر.»

رأت نفسها متوترة طوال تلك الفترة بينما كانت تعمل على معرضها الجديد. وعندما اقترب موعد الاقفال بقيت تنظر إلى الساعة، مصممة على ألا تغادر قبل انتهاء الوقت. حتى انها اجبرت نفسها على الانتظار خمس دقائق أخرى قبل أن تقول بصورة عادية إلى دينا: «هيا، لقد حان وقت اقفال المعرض والذهاب إلى البيت.»

www.elromancia.com

عندما أوقفت سيارتها امام المبنى القديم توقفت قليلاً لتستعيد انفاسها. صعدت الممر وهي متوترة بشكل غريب وقرعت جرس الباب القديم.

كان صدى الجرس غريب بطريقة ما، وشعرت برجفة خفيفة من توقع خبر غير سار، بعد أن قرعت الجرس ثانية، غادرت الباب الأمامي ودارت من وراء البيت، حيث بامكانها أن تنظر إلى الغرفة الزجاجية.

كانت الغرفة فارغة، لم يكن هناك من حاملة، أو حاجز ولا الكرسي الكبير. لم يكن هناك شيء. كان بإمكانها رؤية داخل الشقة من خلال الباب المفتوح للغرفة الزجاجية، ومن الواضح أن لا أحد يعيش هناك كانت الشقة خالية ومهجورة.

شعرت بالجمود والخدر. عادت إلى السيارة وقادتها إلى البيت. لقد رحل جويل من دون أن يخبرها. لقد خرج من حياتها نهائياً.

قالت لنفسها ان هذا افضل. فهما غير مناسبين لبعضهما. كما ان ليس لديها ما تقدمه لأي رجل، ولا بد انه لاحظ ذلك. كما وانه رجل مدرك جداً، والدليل على ذلك اللوحة التي رسمها لها.

ارتجفت وبقيت ترتجف غير قادرة على السيطرة على نفسها حتى صنعت لنفسها شراباً ساخناً بيدين ترتجفين وذهبت إلى سريرها.

• • •

ارسلت الشيك الذي وصلها من هاري إلى عنوان جويل في نيويورك وتابعت حياتها كما كانت ترغب، تجر نفسها

كل صباح من سريرها، وتتابع يومها تتنفس، تعمل وتقول لنفسها انه لأمر سخيف ان تسمح لرجل ان يؤثر في حياتها هكذا. فهما بالكاد يعرفان بعضهما جيداً. وبعد كل شيء من المحتمل انه قد نسي كل شيء عنها الآن. وربما قد تعلق بامرأة أخرى. واعداً إياها برسمة منه كي تتنكره بعد رحيله. كانت أمبير مختلفة، لا تريد ان تتنكر، مهما كانت هديته قيّمة.

قامت برحلة إلى نيوزيلندا، باحثة عن مواهب جديدة، ورجعت حاملة معها عدة لوحات وبعض المنحوتات الصغيرة، ووعد انها ستعود ثانية.

سألت دينا بينما كانتا تعلقان اللوحات: «رحلة قاسية؟ لقد تمنيت ان تجدي بعض التغير ان بشأن العمل أو الراحة. لكن يبدو ان ذلك لم يحدث.»

«هل هذه وسيلة لتخبريني انني ابدو كعجوز شمطاء؟»

«بالطبع لا، لكنك تبدين مرهقة مؤخراً، واني متأكدة ان وزنك قد نقص أيضاً. فانت تعملين كثيراً. لما لا تذهبين إلى البيت وترتاحين؟ استطيع تدبر هذه الاشياء مع وجود الزبائن. فالمكان لا يعج بالزوار.»

«شكراً لك دينا، لكني بخير.»

نظرت مساعدتها اليها مشككة، لكنها تعلم انه من الافضل لها ألا تناقشها، فأمبير هي مديرة، ومع ان دينا تحب العمل لديها وانهما جيدتان معاً، لكن هناك خط دقيق تعلم ان عليها عدم تخطيه. لم تستطع ان تخبر أمبير انها تبدو، شاءت أم أبت، تشبه اكثر واكثر الصورة المزعجة التي رسمها لها جويل ماتسون.

بعد مرور ستة اشهر على رحيل جويل طارت أمبير إلى نيويورك في إحدى رحلاتها المعهودة. كان عليها ان تجبر نفسها على زيارة معرض هاري ابيل غايتس. لكن هذه المرة كان المعرض مليء بالزوار الذين يحتفلون بولادة فنانة جديدة حيث تقيم معرضها الأول بمفردها، ابتعد هاري عن مجموعة كان يقف بينهم ليحييها ويقبل خدها.

تراجع وهو يقول بحرارة: «جميلة دائماً، لكن أمبير ماذا تفعلين بنفسك؟ تبدين كالخيال! هل كانت رحلتك سيئة؟»

قالت: «كانت الرحلة جيدة، تقول دينا اني ارهق نفسي بالعمل.»

«قد تكون دينا محقة، دعيني اهتم بك طالما أنت هنا. سنتناول شراب ما في بيتي، بعد الانتهاء من المعرض؟ تعالي وتعرفي على الرسامة. متأكد انها ستعجبك فلديها مستقبل زاهر.»

اعجبت فعلاً بالمرأة الشابة التي تظهر رسوماتها حاسة مميزة. كانت محاطة كما توقعت، بالمعارف القديمة الذين يسعدهم ايجاد وجوه جديدة، كانت تعاني الآن ودائماً من عاطفة متأرجحة بين الخوف والفرح عندما تلمح رأساً داكن الشعر بين حشد من الناس، لكنها في كل مرة كانت تعيش خيبة أمل مؤلمة عندما يستدير ذلك الرأس، ولا يكون جويل.

شعرت بالفرح عندما اقترب منها هاري وقال: «لنذهب، استطيع الذهاب الآن بأمان.»

وصلا إلى شقته فأخذ منها معطفها، وأضاء القناديل ما ان دخلا إلى غرفة الجلوس الواسعة.

سألها: «ماذا تحبين ان تشربي؟»

«القهوة، ارجوك فأنا اشعر بالصداع، هل حصلت على لوحات جديدة منذ ان كنت هنا سابقاً؟» كانت تسأله وهي تتجول في ارجاء الغرفة. قالت: «آه، هذه جديدة، أليس كذلك؟» واخذت تنظر باعجاب إلى اللوحة الجديدة.

«هل اعجبتك؟ لقد حصلت على لوحة أخرى قد تثير اهتمامك لكنني اضعها في غرفة نومي. سأريك اياها بعد قليل.»

أحضر القهوة وشرباها بينما كانا يتحدثان عن فنانين مختلفين وعن اعمالهم الأخيرة.

قال هاري متابعاً: «استطيع تحقيق نجاح اكبر مع اعمال لماتسون، هل تدرين اين هو أمبير؟ هل اختبأ في مكان ما في اوستراليا؟»

نظرت أمبير اليه متعجبة: «أليس هو هنا في نيويورك؟»

بدا على هاري الغموض وهو يقول: «لقد عاد إلى هنا من سيدني، ليصفي بعض اعماله، ويترك معلومات عن كيفية قبض امواله، وبعد ذلك اختفى، لم يظهر له أي عمل في السوق منذ ستة اشهر. وكذلك في اوستراليا أيضاً.»

هزت امبير رأسها وقالت بصوت قلق: «هل يعقل ان امراً ما حدث له؟»

«آه، لا اعتقد ذلك. من الواضح انه كان يخطط لشيء ما. لكنني لا اعرف ما هو.» قال هذا ونظر إلى فنجانها فرآه فارغاً، فتابع: «تعالي إلى غرفة النوم لتشاهدي ما وعدتك به سابقاً.»

فكرت بعد قليل، ان عليها ان تكون اكثر استعداداً مما هي عليه. امسك هاري بذراعها وهي تدخل الغرفة وتنظر بسرعة إلى السرير الواسع والمفروشات الداكنة اللون قبل ان يطلب منها هاري النظر إلى الحائط المواجه إلى السرير.

قال: «هناك، اعتقد انك توافقين انه لا يعقل ان نضع هذه اللوحة في غرفة الجلوس ليراها الجميع. واتمنى ان لا تمانعي لأنني وضعتها هنا.» لما لم تفكر للحظة واحدة ان هاري قد اشترى صورتها لنفسه؟ شعرت بالم عميق في داخلها. وبحاجة إلى الهواء. قالت: «انها لك، ويحق لك ان تضعها في المكان الذي تريده، هاري أنا... أنا سعيدة لأنها اعجبتك.»

كان عقلها يصرخ، أخرجني من هنا، لكن هاري كان يتكلم: «لقد تفاجأت عندما سمحت لجويل ان يعرضها للبيع. اعتقد انه كان محقاً، فانا لم اعرفك جيداً كما كنت اعتقد. وعندما رأيت هذه اللوحة ادركت انها الحقيقة مع انني إلى الآن لم اتوقع هذه الميزة في شخصيتك. لا يسعني الا ان اظهر اعجابي بكما معاً وله أيضاً اذ عرف هذه الميزة، ولك لأنك سمحت له باظهار ذلك الاستكشاف.»

اخذت اسنانها تصطك. فابتعدت عنه وسارت نحو الباب. كان هاري يسير وراءها عندما رآها تتمسك بالم بالباب.

صرخ: «أمبير؟ هل أنت بخير؟» ووضع ذراعه حول خصرها ليمسك بها كي لا تقع.

قالت وهي تتألم: «نعم، انها فقط مجرد ضربة، وهي تؤلم قليلاً.»

كانت البقع السوداء حول عينيها قد ظهرت خلال ثواني.

اعادها إلى غرفة الجلوس وقال: «هل احضر لك شيئاً؟ فأنت شاحبة بشكل مخيف.»

«انني دائماً شاحبة، هاري.» حاولت ان تبتسم له، غير مدركة من مظهرها، عينان كبيرتان في وجه ابيض شاحب.

قال باهتمام: «سأحضر لك شراباً قوياً.» وعندما احضره أصر عليها ان تشربه كله.

قالت عندما انتهت من الشراب: «لما كل هذا الاهتمام من اجل ألم بسيط.»

نظر اليها باهتمام وانتباه: «هل هذه هي الحقيقة؟ ام انها اللوحة؟ اني آسف ان قمت بعمل خاطىء أمبير. عليّ ان اعترف انني اشتريت اللوحة خصيصاً لأنني شعرت... حسناً، اعتقد انني افكر مثل رجال العصر الفيكتوري حيث يقوم رجل بأي عمل ليحمي المرأة التي يهتم بها ان رأها في وضع غير مشرف. فلم اجد من المناسب ان تكون هذه اللوحة في أي معرض. اعتقد هذا تصرف سخيف مني.»

قالت أمبير: «انه ليس بسخيف على الاطلاق، بل هو أمر جميل ورائع من قبلك، يا هاري وأنا اقدر كثيراً ما فعلت حقاً، هل استطيع ان آخذ المزيد من هذا الشراب؟» سكب لها المزيد.

شعرت بالتعب والخدر بعد رحلة طويلة وارهاق دائم، اخذت امبير تتحدث بعد منتصف الليل عن حياتها الشخصية. وتخبره اشياء ما كانت لتقلها في حالتها العادية. لكن هاري صديق قديم، وهي بعيدة عن بلادها وتحتاج لمن

تخبره عن احزانها ومتاعبها. بعد مرور وقت طويل على ذلك، استيقظت لتجد نفسها مستلقية على اريكة في غرفة الجلوس في بيت هاري، واضعة رأسها على وسادة صغيرة وغطاء صوفي فوقها... بينما كانت اشعة الشمس تنساب من خلال النافذة وراءها.

ما ان تحركت ووضعت يدها على رأسها حتى سمعت صوت هاري يقول: «استعدت وعيك؟»

اعترفت امبير بصوت اجش: «يمكنك قول ذلك، هل اغمي عليّ؟»

«ليس بالتحديد، لكنك لم تكوني بحالة جيدة كي تعودي إلى الفندق، لم ادعك تنامين في السرير، فقط لأنني لم اكن متأكداً بعد كل ما قلته ليلة أمس، انك سترغبين بالنظر إلى نفسك في تلك الصورة.»

«انك محق، فانا لا ارغب بذلك. ما الذي قلته مساء البارحة؟»

«لقد قلت الكثير. لقد امضيت طفولة صعبة، أليس كذلك يا أمبير؟»

اغمضت أمبير عينيها: «اني آسفة، إذ افضيت ذلك لك، هاري تجاهل الموضوع، وبكل الاحوال لم يكن موضوعاً مهماً.»

«عن زوج امك؟»

«لقد احببت زوج امي!»

«آه، وهو أيضاً احبك كثيراً، أليس كذلك؟»

بصعوبة اجبرت أمبير نفسها لتفتح عينيها وتقول: «لا تقلق بشأن ذلك، هاري لقد مر زمن طويل على تلك الأمور.»

جلس بقربها وقال: «هممم، هل ذهبت يوماً لاخصائي أمبير؟»

هزت رأسها: «لا نأخذ نحن الاستراليون اهمية لهذه الأمور مثلما تفعلون انتم هنا. نستطيع ان نتخلص من عبء مشاكلنا بأنفسنا.»

قال هاري: «أو انكم تدفنونهم في عقلكم الباطني.»

قالت امبير: «انه ليس بالمكان السيء لهم.»

«إذا ظلوا هناك، لكن احياناً يعودون إلى الوجود. ويتدخلون بما تحاولين القيام به في حياتك. ويمنعونك من ممارسة حياتك حتى.»

وضعت امبير قدميها على الأرض، وقالت: «حياتي هي تماماً مثلما اريدها، شكراً انني ممتنة لك على اهتمامك، يا هاري لكن حقيقة لا اريد نصيحتك.»

هز كتفيه ووقف: «حسناً، لكن إذا اردت يوماً المساعدة يا امبير أنت تعلمين انني أريد أن أقوم بذلك.»

«شكراً، كل الذي أريده هو أن أغسل وجهي، وبعدها سأغادر على الفور.»

• • •

عندما عادت إلى سيدني وجدت رسالة لها على الهاتف من دينا تقول: «حاول شخص الاتصال بك اكثر من مرة. ولقد ابلغته بوقت عودتك؟ قال انه سيأتي إلى المعرض.»

جويل؟ لكن لم تقل دينا انه هو؟ إلا إذا طلب منها ألا تفعل. لا، ليس جويل من يقوم بمثل هذه التصرفات.

قالت لها دينا عندما عادت في صباح اليوم التالي: «لا

انه شخص لم أره من قبل، في الثلاثين من عمره، اشقر وجميل جداً، ابتسامته جذابة.»

شعرت أمبير بجفاف في فمها، وقالت لنفسها لا، لماذا يريد رؤيتها بعد كل تلك السنين؟ قالت: «إذا اتى ثانية قولي له انني لست هنا، ودعيني اعرف بوجوده، إذا استطعت قبل ان يغادر.»

لكن عندما حضر رون ونظر إلى المعرض بعد ظهر ذلك اليوم كانت أمبير تعمل على المكتب بجانب الباب. فلم يكن هناك من مجال لتتجنب رؤيته.

نظرت لترى من الداخل ورأته. كبير وقاسي، مع نظرة كنظرة الطفل وابتسامة تتذكرها جيداً. كان شعره اطول ويصل إلى كتفيه، كما انه ازداد سمنة. لكنه لا يبدو اكبر عندما ابتسم لها للمرة الأولى، لقد كانت في السابعة عشر من عمرها وقادمة إلى المدينة بمفردها وجاهزة للسقوط في ايدي خبيرة مثله.

قال: «مرحباً، عزيزتي، مضى وقت طويل لم أرك.»

قالت بسرعة: «ليس وقتاً طويلاً بالنسبة لي! ماذا تفعل هنا؟» فمن الصعوبة ان يكون للفن جزء صغير في شخصيته.

قال وهو يبتسم: «ابحث عن حبي القديم.» كانت عيناه تنظران اليها بطريقة كانت تجعل قلبها يرقص فرحاً، نظر اليها نظرة جعلتها ترتجف من الخوف ثم تابع النظر إلى المعرض حوله.

عاد ينظر اليها ويتابع: «لقد رأيت صورتك في إحدى المجلات بينما كنت في عيادة طبيب. وكانوا يتحدثون عنك، امرأة اعمال ناجحة صاحبة معرض ولك رحلات عدة

في كل انحاء العالم لشراء اعمال فنانين مشهورين. لم اتخيل ذلك ابداً.»

تذكرت المقالة. فلقد كانت واحدة مع عدة نساء يمتهن الاعمال الحرة، وكتبت منذ سنة تقريباً، وقد زادت من حضور الزوار إلى المعرض.

قال رون: «تتجولين معي من المعرض.»

«أنا لا اتجول مع احد هنا.»

قال بسرعة: «حتى ولا أنا؟»

«خاصة انت!»

بقي يبتسم، فتذكرت ان هذه هي اسوء الاوقات، كان لا يتوقف عن الابتسام، حتى عندما يكون غاضباً كما الآن.

ابعدت امبير الخوف عنها، وقالت: «انك لا تخيفني، رون. لا يمكنك ايذائي.»

حول عينيه عنها، لينظر إلى عدد قليل من الزوار في المعرض، وبنعومة قال: «أنا لا أريد أن اؤذيك عزيزتي أنت تعلمين انني لا أقوم بشيء يسيء إليك.»

لو لم تشعر بالمرض لكانت ضحكت من كلامه. فقد امضت في المستشفى اسبوعين، قبل ان تعود إلى وعيها وتقرر تركه. ومع ذلك بقيت خائفة من ان تذهب إلى الشرطة وتقدم شكوى ضده. لقد تركت المستشفى بدون عنوان، واختبأت في اكبر مدن اوستراليا متمنية ألا يجدها ابداً.

تابع بحماس: «تذكري الايام الجميلة التي قضيناها معاً.»

في البداية كان هناك ايام جميلة، فقد كان وسيماً وحنوناً، وبدا لها لطيفاً كالطفل. وبعد مرور عدة اسابيع

اقنعها بالعيش معه، كانت تفكر انها امرأة محظوظة لأنها حظيت بهذا الرجل الرائع ليهتم بها ويحميها حتى آخر يوم في حياتها. لقد وثقت به واخبرته قصة حياتها.

قال يذكرها: «لقد فعلت الكثير من اجلك. وأنت تدينين لي بالكثير، عزيزتي.»

قالت بصوت منخفض ولكن صارم: «أنا لا أدين لك بشيء، ماذا تريد؟»

«لقد ساءت اعمالي مؤخراً، فاعتقدت انك قد ترغبين بمساعدتي، من اجل الأوقات السعيدة التي كانت بيننا.»

قالت: «لا، لن افعل ذلك.»

اتسعت ابتسامته اكثر: «هيا، أنت لا تقصدين ذلك، عزيزتي مبلغ صغير، هذا كل شيء، وسأعيده لك.»

فكرت، لا يمكنها الاعتماد على ذلك. وبكل الاحوال لن تعطيه أي شيء مهما كانت الاسباب. قالت: «لا.»

اقترب منها اكثر وامسك بيدها على المكتب، ليضغط عليها بقوة. قال: «بعد كل ما كان بيننا تنكري عندما كنت تخبريني كل شيء؟ اقصد...» زاد الضغط على يدها حتى كادت تصرخ وهو يتابع: «... كل شيء، عزيزتي. اليس كذلك؟»

شعرت بالدم يتجمد في عروقها، اصبحت يداها وقدماها باردتين. فكرت انها قد تضعف، لكنها قالت بحزم: «إذا كنت تعتقد انك تستطيع ابتزازي فانسى الأمر. لا أحد يهمه ذلك بكل الأحوال.»

بغضب أبعد يده عنها وللحظة اختفت ابتسامته. بعدها عادت أكبر مما كانت، قال وعيناه تلمعان: «آه، لا اعلم.»

وعاد لينظر حوله، بينما كانت دينا تدخل من الباب الذي يوصل إلى باقي الغرف. «قد يهتم لذلك هؤلاء الناس، الا تعتقدين ذلك؟ فكل شخص يحب سماع القصص الغريبة.»

استدار برأسه وفتح فمه ليتكلم، فقالت أمبير بصوت عال: «دينا اتصلي بالشرطة واطلبي منهم ان يطردوا هذا الرجل، من فضلك؟»

بعد ذلك سارت عبر الغرفة لتدخل من الباب الذي دخلت منه أمبير وهي تسمع صوته، يزأر من الغضب، سمعت بعض الكلمات لكنها لم تكن واضحة. وبصعوبة ادركت أن الجميع في المعرض يحدقون برون وبها بطريقة غامضة، ما عدا دينا، التي كانت تسرع نحو مكتبها.

دخلت أمبير غرفة السيدات وأغلقت الباب. وجدتها دينا هناك بعد مرور عشر دقائق، مكومة على الأرض وهي ترتجف من البرد والتعب. لم تعترض عندما اقترحت دينا أن تغلق المعرض باكراً وأن توصلها إلى البيت.

لم تعترض حتى عندما اصرت دينا على مرافقتها. وعندما وصلتا إلى الشقة وقفت أمبير في وسط القاعة وكأنها لا تملك أية فكرة عما ستفعله بعد.

في النهاية وضعتها دينا في السرير واتصلت بالطبيب.

قال الطبيب: «إجهاد، اجهاد قوي وارهاق في العمل.» حان وقت الراحة، هدوء وسلام وبالطبع تناول الدواء في موعده. قبلت بعرض دينا بإيجاد موظفة مؤقتة، وحلت دينا مكانها في العمل.

قالت أمبير بتعب: «سأزيد راتبك.»

«لا تهتمي بذلك. فقط اهتمي بنفسك.»

بعد مرور أسبوع سألت دينا: «ما الذي قاله رون؟»

«لم أسمع أية كلمة، فلقد كنت اتصل بالهاتف. لكنه غادر قبل ان تصل الشرطة.»

«هل عاد ثانية؟»

«لا، لم يفعل. ما هي قصته؟ وهل هو خطر؟»

«نعم، لكن ليس كما تفكرين. فلا اعتقد انه مجنون.»

«هل تعرفينه جيداً؟»

«كنت أعرفه. لقد عشت معه حوالي سنتين.»

لقد كانت غبية، شابة وغبية، وعندما ضربها للمرة الأولى شعرت وكأنها مصدومة، لكنه بدا انه آسف جداً فسامحته. وعندما كرر الأمر اكثر من مرة، قررت الرحيل. فكان يهددها بالانتحار، ويأخذ بالصراخ وبالوعود... وهذا ما كان يبقيها في البيت وهي خائفة على نفسها وعليه وكان بطريقة ما يجعلها تشعر انها المذنبة وكأن كل تصرفاته بسبب غلطتها.

أجبرها ذلك على البقاء في المستشفى، وبمساعدة طبيب واخصائي اجتماعي تمكنت من رؤية الأمور على حقيقتها واستجمعت قواها، وقررت بناء حياتها بمفردها، من دون الاعتماد على أحد. فهي لن تثق برجل ما بعد ذلك. لن تسمح لها بالثقة بهم مجدداً، لقد كان رون منقذها وحاميها وفي النهاية اصبحت بحاجة لمن يحميها منه.

قالت دينا: «يقول الطبيب ان حالتك ستتحسن إذا قمت برحلة ما، فأنت لم تفعلي ذلك منذ سنوات، أليس كذلك؟»

كانت أمبير تقول دائماً انها ليست بحاجة للراحة. فهي تحب عملها، وهي بسببه تسافر إلى عدة أماكن في العالم،

وهذا ما يسعدها ولكن شعرت ان الفكرة الآن ضرورية، فقد يكون الطبيب على حق.

اقترحت دينا قائلة: «ما رأيك بالذهاب إلى نيوزيلندا؟ لقد قلت انك اعجبت جداً بتلك البلاد.»

وبذلك سمحت لدينا بشراء بطاقة سفر لها.

www.elromancia.com

الفصل الحادي عشر

عندما هبطت الطائرة في مطار مانجار، كان النهار قد شارف على المغيب. ومياه خليج مانيكيا تلمع بألوان تعكس مغيب الشمس الرائع. اما انوار مدينة اوكلند فقد بدأت بالظهور. وما ان وصلت امبير إلى الفندق حتى كان الليل قد ارخى سدوله، مع ان غرفتها كانت تشرف على الخليج لكنها كانت تستمتع أيضاً بالنظر إلى انوار المباني المجاورة والحدائق المنتشرة حول الفندق وفي كل الساحل الشمالي.

نامت طوال الليل وعندما استيقظت شعرت بالشوق للخروج من المدينة وللبحث عن مكان حيث تجد الهدوء والحرية التي تبحث عنهما، في غرفة استعلامات الفندق وجدت عدداً كبيراً من الاعلانات عن رحلات في المراكب، أو في السيارات أو في طائرات صغيرة وحيث يرغب الزائر في المدينة أو في الريف.

كان هناك معرض تجاري جديد لا يبعد كثيراً عن مدينة اوكلند، قام به اتحاد من شعب الماووري (سكان نيوزيلندا الاصليون) وقد اطلقوا عليه اسم - التجربة السياحية الرائدة - على ارض عادت اليهم مجدداً بعد هجرة قسرية دامت اكثر من مئة عام. وفيها معالم قديمة كالكهوف الحجرية مضاءة بقناديل قديمة ومساحات شاسعة مازالت مليئة بالاعشاب والاشواك البرية ونهر يستعمل للسباحة والإبحار. كان هناك ايضاً مركز صناعي صغير حيث يتعلم الشباب

المهارات التقليدية ويبيعون ما يصنعوه. كان يقدم للزوار عدداً كبيراً من أنواع التسلية مع غرف نوم كبيرة مع وجبات أكل مميزة وتقليدية.

سألت أمبير موظف مكتب الاستعلامات: «كيف اصل إلى هناك؟ وهل يمكنك ان تحجز لي مكاناً؟»

عندما وصلت إلى هناك اكتشفت ان خيارها كان رائعاً. فالبيت القديم واسع، وغرف النوم واسعة وكبيرة، واثاثها كورية الصنع... كانت غرفة أمبير مفروشة ببساطة وذات ابواب فرنسية تفتح على شرفة واسعة حيث بامكان الناس الجلوس على كراسي مريحة كي يستمتعوا بالمناظر الطبيعية التي تنحدر نحو النهر. وهناك رأت مراكب صغيرة على ضفته.

كان العمال لطفاء ويعملون بروح المحبة ولا يعيقهم شيء عن جعل ضيوفهم يشعرون وكانهم في بيوتهم، عبرت الفتاة التي كانت تعمل على الطاولة التي تتناول أمبير عليها الغداء، عن اهتمامها لأن أمبير لم تنهي طعامها، وقد اكدت لها أمبير أن الطعام شهي ولكن المشكلة في رغبة أمبير بتناول الطعام.

قالت الفتاة: «انتظري حتى مساء السبت، حيث نقدم وجبة خاصة وستاكلينها كلها، هل تذوقت طعامنا؟»

هزت أمبير رأسها نافية، فرحلاتها السابقة إلى نيوزيلندا كانت رحلات عمل سريعة، وكانت تمضي معظم اوقاتها في المدن، قالت: «انتم تطبخون الطعام في الأرض؟»

«أجل، يمكنك مراقبة الرجال وهم يحضرون الطعام بعد

الظهر، بعدها نأكله في المساء. سيحضرون الغزال البري. ستأكلين الكثير منه، فهو شهي جداً.»

قالت أمبير: «سأحاول ان افعل.»

زارت بعد ظهر ذلك اليوم المركز الصناعي، وامضت اكثر من ساعة وهي تراقب الرجال يحفرون في الخشب أشكالاً تمثل الاشياء التقليدية والحديثة. رأت على طاولات طويلة الاعمال النهائية، وعلى الجدران علقت اعمال قامت بها النساء، بعضها مصنوع من الريش أو الاصداف التي كانت تستعمل عبر قرون قديمة. شاهدت على الشرفة المشمسة في الخارج امرأة عجوز تعلم فتيات في سن المراهقة فن خياطة خيوط الكتان. اشارت إلى أمبير وقالت: «تعالي واجلسي هنا، يمكنك ان تحاولي انت أيضاً.»

انتهت جهود أمبير بالقيام بسلة صغيرة، حملتها معها إلى غرفتها مع اشياء أخرى اشترتها من المعرض.

زارت الكهوف مع دليل سياحي، واعجبت جداً بما رأته، قال الرجل: «هذه الكهوف ليست كبيرة كتلك في وايتومو. فالكهوف هناك مشهورة اكثر بالطبع، لكن لدينا اشكال جيدة هنا، كما انها لم تمس.»

رأت أمبير ان كلمة لم تمس هي الكلمة الحقيقية التي تصف المكان كله. لم تشعر بمثل هذه الراحة، منذ سنوات، كانت الأرض جميلة وخضراء. وتتدفق مياه النهر بنعومة في سلام لا حدود له، احبت كثيراً السير في تلك الاماكن تتنشق عبير الأزهار البرية وتسمع زقزقة العصافير المغردة، لم يكن هناك وجود للأفاعي، كانت تشعر بالامان وهي تجلس على جذوع الاشجار المحاطة بالخنشار تنظر إلى الاشجار العالية

التي تحجب اشعة السماء وترى من خلالها السماء الصافية.

كانت وجبة الطعام رائعة كما وعدتها الفتاة بانيا، راقبت أمبير مع غيرها من الضيوف، الرجال وهم يحفرون ثقباً عميقاً في الأرض، ووضعوا في داخله حجار جمعوها من جانب النهر واشعلوا ناراً قوية حتى أصبحت الحجارة حارة جداً. بعدها توضع الغزلان بين الحجارة، ورزم من البندورة والذرة والملفوف وسمك ملفوف يوضع فوق الجميع قبل ان يلف الجميع بأكياس خاصة لتحمي الطعام قبل ان تطمر ثانية بالتراب.

بعد مرور عدة ساعات تفتح الوليمة ويقدم الطعام المميز إلى الضيوف التي كانت تجلس اما على الشرفة أو في الحديقة. قدمت بانيا صحناً كبيراً لأمبير وانتظرت لتسمع رأيها فيه، قالت أمبير: «انه شهي.» كان اللحم شهياً وطرياً كذلك الخضار مقدمة مع قليل من الزبدة والبهار الأسود. انهت الصحن كله، وهذا ما أعجب بانيا كثيراً.

بقيت هناك اسبوعاً آخر وقبل ان تغادر تحدثت لفترة طويلة مع المسؤول في المركز الصناعي هناك. بعد ذلك اتصلت بدينا وقالت: «انني راجعة إلى سيدني، ولدي فكرة خاصة لمعرضنا الجديد.»

اخذت في الطائرة، مجلة قدمت لها من غرفة القبطان، فتحتها وبدأت بقراءتها... توقفت في وسط صفحة الفنون امام اسم تراقص امام عينيها، جويل ماتسون.

• • •

قالت دينا: «نعم، لقد رأيته. أمر مثير للاهتمام أليس

كذلك؟ ذهابه للعمل من اجل تخفيف آلام المجاعة لمدة ستة اشهر مما لا شك فيه انه أمر سائد هذه الايام.»

قالت أمبير وهي متعجبة من شوقها للدفاع عنه: «لا اعتقد ان جويل يقوم بذلك لأنه أمر سائد، فهو لم يخبر احداً عن ذهابه.»

قالت دينا: «انا لا انتقده، فعمله مهم ورائع واتمنى ان يلاقي الكتاب الذي جمع فيه رسومات عن المجاعة، رواجاً لمصلحتهم. واتمنى لو انني املك اية موهبة... للمساعدة في تحسين العالم... ماذا كانت الفكرة التي اخبرتني عنها، عن العرض الجديد؟»

«آه، وجدت في المكان الذي اقمت فيه مركزاً للعمل للشعب الماووري، ومعظم اعمالهم رائعة، ان كان في النحت أو التطريز. فالنساء تقمن بتطريز اقمشة رائعة تعلق كاللوحات كذلك بعض الثياب واشياء للزينة، كذلك يصنعن سلات جميلة تدعى كيتس، لا... كيت.» صححت أمبير لنفسها: «لقد قالوا لي لا يوجد حرف س في لغة الماووري.»

قالت دينا: «يبدو الأمر جيداً، فلدينا دائماً رغبة قوية بالتعلق بالفنون القديمة، وهذا سيبدو عرضاً جديداً ومختلفاً.»

ابعدت موضوع جويل ماتسون عن تفكيرها، فعليها ان تضع مخططاً لعملها.

كان زعيم الماووري حذراً جداً من الفكرة، وطلب منها مقابلة ليبحث الأمر. واقترح إذا كان العمل سيقدم في سيدني فلا بد من مرافقة مجموعة من الصناع لشرح العمل واعطاء أمثلة عنه.

لقد تحدث معها الزعيم العجوز لفترة طويلة وسألها

العديد من الاسئلة عن كيفية تمكنهم من عرض وبيع العمل. كان لديها شعور انه كان يقيمها ويريد التأكد انها الشخص المناسب لعرض أعمال شعبه الذي يضع في عمله أكثر من المهارة والقدرة والوقت.

كانت أمبير تشعر دائماً، ان كل الفنانين المشهورين، يضعون جزء من روحهم وقلبهم في أعمالهم، لكنها أحست هنا ان الأمر أشد ارتباطاً. فالعلاقة بين الفنان وشعبه وتاريخه أيضاً، تبدو قوية أكثر في هذا الرجل وإذا لم تستطع أن تفهم المعايير التي يحاول التركيز عليها، فمما لا شك فيه انها تحترمها.

في النهاية تمكنت من أخذ موافقته، وشعرت وكانها مرت بنوع من الامتحان.

لقد مرت بامتحان آخر أيضاً، خلال اقامتها في نيوزيلندا. أولاً لقد تمكنت من السيطرة على نفسها مجدداً، إذ أصبحت أقوى ولقد حاولت اقناع نفسها تقريباً من الشهر الثاني من مغادرته، إن جويل ماتسون ليس إلا دخيل لا قيمة له في حياتها. كما أنها استعادت بعض وزنها المفقود وتقريباً كل قدراتها العملية. أكدت لنفسها أنها تستطيع العيش بدون أي رجل فهذا ما كانت تفعله منذ سنوات عدة.

لم تذكر دينا ثانية حادثة رون، ومما لا شك فيه أن أمبير أيضاً لا تريد التحدث بشأنه. لم يظهر مجدداً ومن الواضح أن التهديد بالشرطة قد أخافه وأبعده نهائياً عن حياتها.

• • •

دخل جويل إلى المعرض، قبل عدة أيام من عرض ماووري، وكأنه لم يبتعد يوماً.

ابتسم لدينا ابتسامة كسولة وقال لأمبير: «هل ترغبين بالتحدث؟»

نظرت إليه غير متوقعة حضورة، وقالت بسرعة: «لا وقت لدي، لدينا معرض علينا الاستعداد له. دينا، نحن بحاجة إلى المزيد من الصناديق المدهونة، لعرض السلال والمنحوتات الصغيرة هل يمكنك الاهتمام بذلك؟»

قالت دينا: «نعم، بالطبع.» وابتسمت لجويل ابتسامة كبيرة، وكأنها تريد التخفيف من عدم اكتراث أمبير، تابعت: «كيف الحال، جويل؟»

قالت أمبير: «اعذراني.» وسارت وهي تحمل دفتر الملاحظات وقلمها نحو المكتب. فإن لجويل كل الثقة من انه سيعود هكذا فجأة ويتوقع منها أن تتخلى عن كل شيء لتتحدث معه، فقط لأنه يريد ذلك. رمت الدفتر والقلم على المكتب، ومررت يدها بشعرها الذي قصته قصيراً مجدداً، وجلست على كرسيها، وهي تشعر بأحاسيس غريبة... الغضب، اليأس، ونوع من الفرح المؤلم.

فتح الباب على مصرعيه ووقف جويل أمامها، قال: «استطيع أن أرسم؟»

هذا الذي لا تتوقعه، فهي تعلم أنه رسام. قالت: «ماذا؟»

«الصناديق. استطيع أن أدهنها لك.» ابتسم لها بفوز وتابع: «عندها يمكنك أن تطلبي من دينا عملاً آخر، وأن تخصصي لي بعض الوقت.» أضاف بسرعة: «فيما بعد.» عندما رأى نظرتها الغاضبة.

قالت: «لا وقت فراغ لدي حتى موعد الافتتاح.» كانت تعلم أنها تتصرف بشراسة، لكن من يعتقد نفسه؟ ما الذي

يجعله يعتقد أنه يستطيع الخروج والدخول إلى حياتها عندما يريد ذلك، ويتوقع منها أن تستقبله بأيدي مفتوحة كلما يعود؟

هز كتفيه، وقال: «حسناً، دعيني أعمل. فانا أريد المساعدة.»

«لا أريد مساعدتك!»

«لقد قالت دينا...»

«دينا ليست الرئيسة هنا!»

رفع خصلة من الشعر عن جبهته، وقال: «نعم، سيدتي الرئيس، أعني لا، آسف سيدتي الرئيس. هل أقبل يدك، سيدتي؟»

قالت: «آه، اصمت.» لم تستطع أن تخفي ابتسامتها: «ما الذي تفعله هنا، جويل؟»

بدا عليه التفكير قبل أن يقول: «سأخبرك عندما تنتهين من كل هذه الأعمال. فانت مرهقة الآن، تقول دينا انك لم تكوني... بخير.»

لقد حصل على الكثير من المعلومات في وقت قصير. قالت بجفاف: «عليّ التحدث مع دينا.»

«لا تضعي اللوم عليها. لقد كنت أنتزع المعلومات منها.»

«أمر واضح، لقد قرأت عن كتاب الرسومات الذي قدمته لمصلحة المجاعة.»

«هل أحضر لك بعض النسخ لبيعها؟»

هزت أمبير رأسها.

«لدي بعض النسخ. سأحضر لك صندوقاً إذا كنت لا تمانعين، أليس كذلك؟ تعلمين كل المبلغ...»

قالت: «أجل، أعلم، لا أمانع، أحب كثيراً أن أساعد.»

أحضرهم في اليوم التالي، وبطريقة ما بقي للمساعدة، لمجموعة من فريق الماووري، الذين كانوا منهمكين بترتيب وتنظيم أعمالهم. وبطريقة ما أصبح نجم المعرض.

دعت أمبير بعض الزبائن الاختصاصيين بعالم الفن وبالعقود الفنية للحضور إلى احتفال أولي للمعرض طبقاً لاقتراح القائد. واتفقت مع وكالة اعلان لحضور الحدث، من أجل تأمين أكثر شهرة مطلوبة للمعرض.

راقب حشد صغير، من بينهم جويل، باهتمام طريقة النساء بالترحيب بالحضور تبعهم بعض الكلمات والأغاني، وكل هذه باللغة القديمة، بعد ذلك وبسهولة رحب قائد المجموعة باللغة الانكليزية بالضيوف ودعاهم لرؤية وشراء الأعمال الفنية المعروضة. ويعود ريع هذا المعرض لتعليم الناشئة من شعب الماووري.

في الأثناء التي كانت تجري فيها مقابلة مع فريق العمل التلفزيوني بصحبة قائد الماووري للتحدث بشأن المعرض، لمحت رأساً أشقر يدخل بين الجمع ويقترب نحوها. فغاب صوتها في وسط الجملة. وبطريقة لا شعورية أخذت عيناها تبحثان عن جويل، لتجده يقف بين مجموعة من الناس، لكنه كان يراقبها.

لا بد أنه قرأ النظرة اليائسة في عينيها، والحاجة إلى مساعدته. بدأ بالسير نحوها وهو لا يدري ما بها، ليصل إليها في اللحظة التي دخل رون إلى أمام فريق الكاميرا. كان المذيع لا يزال يحمل الميكرفون ويقول بلهجة مهذبة:

«نعم، آنسة وينيارد؟» عندما مد جويل ذراعه إلى خصرها وتمتم قائلاً: «ما الأمر، أمبير؟»

أمسك مساعد المصور بذراع رون وقال له: «اعذرني سيدي...» لكنه تجاهل قوله. ولمعت عيناه الزرقاوان وهو ينقلهما بين أمبير وجويل، وهو يبتسم.

كانت أمبير تنظر إليه وكأنها تراقب أفعى سامة وجاهزة للانقضاض على فريستها.

قال الرجل الذي يقف أمامها: «نحن نصور.» نظر إليه رون، ثم إلى الكاميرا والميكرفون. أصبحت ابتسامته أوسع، وأشد شراسة. قال بصوت يفح: «هل هذا صديقك الجديد، عزيزتي؟ هل يعلم؟ هل كل الناس هنا تعلم...» ونظر حوله بفرح وانتصار قبل أن يتابع: «أية امرأة أنت؟ هل أخبرته...» وحول نظره إلى جويل: «ما أخبرتني به، عما كنت تفعلينه أنت وزوج أمك؟»

شعرت أمبير بأن الدم يغادر وجهها، وفجأة، ومع كبر الصدمة سمعت صوت الكاميرا فعلمت انها لا تزال تعمل. وشعرت فجأة بحركة ذراع جويل السريعة والمتوترة.

قالت: «لا، جويل.» وأمسكت بشدة بالذراع التي كانت تمر أمامها بقوة: «لا تفعل!»

توقف، لكن كانت ذراعه لا تبعد عن وجه رون إلا مسافة قصيرة جداً. نظر بغضب إلى الرجل المواجه، وقال من بين أسنانه: «أخرج من هنا حالاً قبل أن اقتلك!»

أغمض رون عينيه، لكنه بقي مكانه، وأصبحت ابتسامته أوسع وهو يقول: «حاول ذلك!»

شد جويل قبضته، عندما اقترب أربعة رجال من الشعب

الماووري من الحشد والتفوا حول رون. دفع أحدهم جويل وهو يقول لرون: «تعال معنا، أيها الرجل.» وسمعت أمبير أحدهم يقول بلهجة صداقة: «لنذهب إلى الخارج.» بعدها حملوه بعيداً، بهدوء وبسرعة.

بدا مقدم التلفزيون منزعجاً جداً، قال: «سنقطع كل هذا من الشريط آنسة وينيارد. فهذا برنامج للفنون، ونحن لا نصور مباشرة على الهواء، لحسن الحظ.»

استطاعت أن تسيطر على توترها وتقول: «شكراً لك.»

«اعتقد انني حصلت على المعلومات المطلوبة منك. سنذهب لنصور المزيد من الصور عن المعرض.»

تفرق الناس ليتجولوا في المعرض، بينما بقي جويل يمسك بذراعها. ظهرت دينا إلى جانبها من الجهة الأخرى.

قال جويل: «أحضري لها أي شراب، إلى مكتبها.» وشدها نحو المكتب بينما أسرعت دينا لتلبية طلبه.

أجلسها على الكرسي، وانحنى بجانبها وهو يقول: «تماسكي.»

«لا تخف، لن أغيب عن الوعي.» فكرت أن ذلك سيحدث لها لعدة دقائق. تقريباً تمنت ذلك، فلحظات من الراحة قد تفيدها.

«من يكون؟»

«كان صديقي منذ سنوات عدة.»

«لقد فهمت، لماذا لم تدعيني أضربه؟» وتابع غاضباً: «ليس لديك مشاعر نحو ذلك اللعين، أليس كذلك؟»

هزت أمبير رأسها: «أنت لا تعلم كم هو بغيض. فهو يعلم كيف يضرب الناس لا شك انك كنت ستتأذى.»

شد بيده الملقاة عليها برفق، وسأل بضيق: «هل سبب الأذى لك يوماً؟»

هزت أمبير رأسها.

شتمه جويل وتابع: «أتمنى لو ضربته.»

دخلت دينا وهي تحمل بيدها شراباً، قالت: «اشربي، قد يريحك هذا بعض الشيء.»

شربت دينا قليلاً وقالت: «شكراً، من الأفضل أن تكوني في الخارج الآن، واحدة منا عليها التجول بين الزبائن لتسهيل أمر العمل.»

سأل جويل بلطف بعد أن أنهت شرب الكوب: «تريدين التحدث؟»

«لا، ليس الآن.» حاولت أن تبتسم لتخفف من جوابها الرافض. تابعت وهي تنهض: «في الواقع عليّ العودة إلى العمل.»

وضع يديه الكبيرتين على كتفيها بنعومة، وهو يقول: «أمبير، لن أسبب لك الأذى يوماً، أبداً أنت تعلمين ذلك، أليس كذلك؟»

قالت، وهي تنظر في عينيه: «نعم، جويل أعلم ذلك حقاً.» رفعت رأسها لتقبله وعندما ضمها إليه قالت: «عليّ بالخروج إلى العمل.»

«ومواجهة الجميع؟»

هزت أمبير رأسها. لن يكون الأمر سهلاً، لكن ما حدث هو الأسوأ، فلم يعد هناك من شيء أكبر يخيفها.

رفعت ذقنها عالياً، وبدا التصميم واضحاً في عينيها.

قال جويل: «كل من هناك إلى جانبك، تذكري ذلك.»

حاولت ذلك، ولقد اعتقدت أن ما يقوله هو الحقيقة. فبعض الناس قد غادرت باكراً. والبعض الآخر لم ينظر إلى وجهها مباشرة، كما أن قليلاً منهم نظر إليها بشفقة وتفهم واضح، واحد أو اثنان سارا مباشرة إليها وقالا: «هذا هو التصرف الصحيح، عليك تقديم شكوى بحقة.»

«لا تهتمي للأمر، أمبير أنه أكثر من تافه، لن يهتم لكلامه أحد.»

قائد المجموعة الذي أخرج رون ابتسم لها من بعيد، وقال لجويل لاحقاً: «لم يكن يريد الذهاب، فهو يشعر أنه قوي جداً، لكننا تمكنا من اقناعه بأن عليه الاستراحة في بيته لمدة كافية. لا تقلقي، لن يعود بسرعة.»

بقي جويل بقربها طوال الوقت، وتأكد من أنها تناولت بعض الطعام للغداء، وعندما حان وقت الاقفال أخيراً طلب من دينا الذهاب، فهو سيهتم بأمبير.

لقد كان أطول يوماً في حياتها. التقطت حقيبتها من المكتب، وبصورة لا إرادية أخذت المفاتيح. قال جويل: «سأوصلك إلى البيت.» كانت متعبة جداً ولا قدرة لها على النقاش. أقفل المعرض وجلس في مقعد القيادة في سيارتها، وقال لها: «ارشديني إلى المكان، لم أذهب يوماً لزيارتك.»

فعلت ذلك، وعندما توقف أمام بيتها، سألها: «هل لديك أي شيء للأكل؟»

«لا أعرف. إنني لست بجائعة، شكراً لك لاحضاري إلى البيت. لقد كنت... لطيفاً.»

هز برأسه وقال: «إنني قادم معك.»

نظر باهتمام لبرهة قصيرة بالمفروشات المميزة في شقتها، فالجدران البيضاء تعكس بشكل رائع المجموعة النادرة للوحاتها، أما لون المقاعد فمن الجلد الأسود، وعلى سجادة رمادية وضعت قطعة من الصوف الأبيض، وفي إحدى زوايا الغرفة طاولة زجاجية رتبت عليها قطع زجاجية ثمينة.

سأل: «أين المطبخ؟» فأشارت إليه، ودخلت إلى غرفة نومها، رمت حقيبتها على طاولة المكياج، خلعت حذاءها وجلست على السرير. شعرت بنعومة الغطاء الأخضر تحت أصابعها المتشنجة. بعد فترة قصيرة استلقت ووضعت رأسها على الوسادة. فهي لا تريد أن تنهض وتتحرك ثانية.

أغمضت عينيها قليلاً طلباً للراحة. لم تكن غافية عندما أتى جويل ولمس خدها: «أمبير؟»

فتحت أمبير عينيها. قال: «لقد أحضرت لك الطعام.»

وضع الطعام في صينية، قليلاً من السلطة وبعض الحساء وعدة قطع من الخبز الفرنسي التي بلا شك وجدها في البراد.

أخذ يراقبها وهي تأكل، بعدها أحضر لها القهوة. سألت: «وماذا عنك؟ ألست جائعاً أيضاً؟»

«لقد تناولت العشاء في المطبخ.»

«هذا أمر رديء جداً لك.»

«لا، أمبير... فأنا أحبك.»

لم تستطع أن تتحرك، جلست وهي تمسك بفنجان القهوة وتنظر إليه. كانت تسمع أنفاسه، يقف بجانبها واضعاً إحدى يديه في جيبه، ينظر إلى رأسها المنحني.

قال: «لا بأس إن كنت لا تبادليني الشعور. فقط أريدك أن تعرفي.»

شدت بيديها على فنجان القهوة، مما جعل القهوة تنسكب. قالت: «جويل، لا استطيع...» صمتت وحاولت ثانية، لتقول بصراحة: «أجد من الصعوبة تصديق ما تقوله.»

«لماذا؟»

ضحكت بجفاء، وخاطرت بالنظر إليه، لتجد ذلك الغضب الصارخ في وجهه.

قالت بغضب: «أنت تحبني؟ وترحل بعيداً بدون أية كلمة لمدة ستة أشهر... في الحقيقة لمدة أطول. وتعود متوقعاً أن تحصل على ما تخليت عنه. أي نوع من الحب هذا؟»

زاد تجهم وجهه فابتعد فجأة عنها، واضعاً يديه في جيب بنطلونه، وسار نحو النافذة وقف ونظر إليها ليقول: «إنني من النوع الخائف، لكنني عدت ثانية، ألم أفعل ذلك؟»

اتسعت عيناها وهي تقول: «الخائف؟ أنت؟»

قال: «اشربي قهوتك. ستصبح باردة.»

«لا أريدها الآن.» وضعت الفنجان على الطاولة بجانب السرير. وتابعت بغضب: «عما تتحدث؟»

هز جويل كتفيه وقال: «اسمعي، يمكنك أن تعتبري انني شخص رومنطيقي، لكن طوال حياتي وأنا أفكر بانني يوماً ما سالتقي بامرأة يمكنني العيش بقربها، ومشاركتي معها كل شيء. امرأة لا تريد أن تبتعد عني، بل تريد أن تحيطني بحنانها، وأن تريد البقاء بقربي إلى الأبد. وتريد ذات الحب والاخلاص مني. وبعدها رأيتك.»

قالت بالم: «لم أكن يوماً هكذا، جويل.»

«لا، لقد كنت قاسية وحادة الطباع ومصممة على ابعادي عنك. لقد كنت عكس كل ما أريده. وكنت أكثر ما أريده في هذا العالم.»

نظرت إليه غير مصدقة: «أنا؟»

ابتسم بخفة، وقال: «نعم، تباً لك عندما اعتقدت انك وهاري صديقين حميمين شعرت بالراحة تقريباً، لأنني هكذا ابتعد عنك. حسناً، لقد اعتقدت ان احساسي خاطىء، فلما لا ابتعد عنك. لكنك اردتني أن أحضر إلى سيدني، ولم ترضي أبداً بلا كجواب، وعندما وافقت على الجلوس أمامي كي أرسمك، مع أنني أعلم كم تكرهين الفكرة، تصورت أن لديك هدف خاص من وراء ذلك، حتى ولو رفضت الاعتراف بذلك. لم يكن الحب من طرف واحدة في النهاية. فأنت حقاً تريدينني، مع كل ذلك الرفض الحاد من قبلك.»

فكرت أمبير، من المحتمل أن تكون هذه الحقيقة، لقد خدعت نفسها، لكنها لن تتمكن من خداع جويل.

قال جويل: «لذلك تصورت، إذا كنت تريدين حضوري بهذا الالحاح، فلقد اعطيتني الحق ان اجعلك تعترفين بذلك.» تنهد بعمق، قبل أن يتابع: «عندما أتى هاري، قلقت كثيراً. لكنه غادر ثانية ولم يعن لك شيئاً. كنت أرى ذلك بوضوح. لكن بعد ذلك، لم أتمكن من التقرب اليك! فلقد كنت أفكر، ان الأمور ليست جيدة بيننا، فنحن لا نناسب بعضنا، لكنني استمريت في المحاولة، لأنني لم استطع التفكير إلا بك، وعندما امضينا الليل معاً تاكدت انك كل ما أبحث عنه... وعندما أقبل الصباح...»

اعترفت أمبير، بصوت منخفض: «أعدت كل الحواجز التي كانت بيننا.»

«نعم، لقد صعقت، لكنني فكرت انه ما زال لدي الورقة الرابحة. لقد اعتقدت انني سأتمكن من إزالة تلك الحواجز عندما تشاهدين اللوحة.»

«لأنك رسمت ما تراه وراء تلك الحواجز، الفتاة الصغيرة الخائفة وراء المرأة القوية التي كنت أحاول ان أكونها.»

قال: «المرأة القوية التي تريد مواجهة الالم بشجاعة رغم الخوف في داخلها، اعتقدت انك عندها ستدركين، انه يمكنك الوثوق بي، وإذا كنت لا تثقين بأحد. اعتقدت انك ستتركين مخاوفك جانباً معي، ان تدعيني قريباً لك، وانني لن أخونك أبداً. وعندما رفضت تلك الفرصة، عندما تعمدت عن قصد ايذاءنا معاً، مصرة على بيع اللوحة، مصممة على القيام بدور امرأة الاعمال حتى النهاية... كل الذي رأيته عند ذلك هو محاولة دائمة مني للوصول إلى قلبك، ومحاربة بكل الوسائل من قبلك لابعادي عنك.»

أدركت أمبير انه كان محقاً، فقد كانت خائفة من أن تسمح لأحد لأن يصبح قريباً جداً منها.

قال جويل: «لذلك قررت الرحيل، للقيام بما فكرت به لعدة مرات... القيام بعمل مفيد وحقيقي. عمل قد يكون مميزاً، ويغير شيئاً ما في حياتي. لقد قدت عربات الشحن في الصحاري، أقمت في مطابخ عامة، صنعت الخيم للناس، ودفنت الموتى. ولقد كان هناك العديد منهم...» تنهد بعمق قبل أن يتابع: «لقد اعتقدت ان ذلك سيجعلني أرى كم هو غير مهم حبي لك، مقابل مآسي العالم.»

قالت أمبير: «أتمنى... ان يكون ذلك قد خفف عنك.»

«لقد ساعدني ذلك. لكنه لم يوقف الألم، بل استمر ان كنت بقربك أو بعيداً عنك. لم أتمكن من التخلص منه. ومهما كان غير مهم بالمقارنة مع المشاكل الأخرى... بالنسبة لي، فهو مهم جداً.»

«ولهذا السبب رجعت ثانية؟»

قال ببساطة: «لقد رجعت لأنني لم أتمكن من البقاء بعيداً. انني فقط... أريدك. أمبير. أريد البقاء معك والعيش بقربك حتى ولو كان الأمر مؤلماً.»

قالت أمبير، وهي تتألم: «لم أقصد أن أسبب الألم لك، جويل. لقد كنت ضائعة ولا أعرف ما افعل، لأنني كنت خائفة جداً.»

«أن تضعي ثقتك بي؟»

هزت أمبير رأسها، وأبعدت نظرها عنه: «أنت تعلم...»

«ليس من داع لاخباري.»

قالت: «اعتقد انني بحاجة لأخبارك.»

اقترب منها وأمسك يدها بحنان وقال: «حسناً.»

بدأت مترددة نظرت إلى يديهما المتحدتين: «لم يكن صحيحاً، ما قاله، عندما توفيت والدتي، وكبر شقيقاي. كنت الصغيرة في العائلة، قرر شقيقاي ترك البيت، فلم يبق لي غيره. وكنت انا كل عائلته. هذا ما كان يقوله. كنت متأكدة انه يحبني لأنني كنت طفلة بشعة.

قال جويل غاضباً: «لم تكوني يوماً بشعة! هذا أمر مستحيل!»

«حسناً! هذا ما كنت اعتقده. كان الجميع يضحكون علي

بسبب لون شعري، وكنت ضعيفة جداً. حتى ان زوج امي كان يضحك علي ويقول إن لي وجهاً مضحكاً، لكن عندما اصبحت اكبر اخذ يبعد عني الأولاد، ويقول انني مازلت صغيرة وهو يريد حمايتي. وعندما تركته اخيراً، اخذ يطلق على اسماء سيئة. لقد كان مقتنعاً انني اريد الرحيل بسبب شاب ما.»

قال جويل: «لم تكوني انت المخطئة.»

«أعلم. لكنني شعرت انني لست سعيدة.»

شد على يديها بحنان اكثر لتتابع كلامها: «عندما تزوج ثانية، ارسل لي دعوة لحضور الزفاف. اعتقدت ان عليّ الذهاب، لأزيل النفور بيننا، ربما لست ادري. كانت زوجته مطلقة ولديها ابنتين، واحدة في الحادية عشرة والثانية في الثالثة عشرة. فكرت بالأمر لأسابيع، وبعدها ولمصلحتها حاولت تحذيرها. كان يجب ان اكون اكثر ادراكاً، فلقد اخبرها انني قد اسبب المشاكل، بسبب غيرتي منه، وصدقته.»

قال بهدوء: «واخبرت كل هذا لرون؟»

اغمضت عينيها: «آه، نعم، لقد اخبرته كل شيء. لم اخفِ شيئاً عنه. لقد اعطيته... كل ما لدي. لذلك عندما تركته، لم يعد لدي ما اعطيه لأحد غيره.»

فجأة ترك يدها. فتحت عينيها لتراه يسير مبتعداً عنها إلى النافذة ممسكاً بالستارة بيده حتى اعتقدت انه سيقطعها من مكانها.

قالت: «انك غاضب مني!»

نظر اليها والغضب يلمع في عينيه: «احاول ألا اكون كذلك، لقد رميت بنفسك على ذلك الشرير. لماذا؟»

وضعت أمبير قدميها على الأرض ووقفت قالت: «جويل! لقد كنت في السابعة عشرة من عمري! وكنت بحاجة لشخص ما بجانبي! كيف لي ان اعلم؟»

قال: «نعم، اعرف لكن... هو! كيف يمكنك ذلك؟»

صرخت: «حسناً، واين كنت انت؟ تتسلى مع المراهقات مثل ترودي؟»

قال غاضباً: «ماذا؟»

قالت تتهمه: «انكم مثل بعضكم البعض! كلم سواء!»

صرخ: «الآن اسمحي لي سيدتي.» وعاد اليها، ليرميها على السرير وجهه قريباً جداً من وجهها، وعيناه تشعان من الغضب: «انا لا اشبه بشكل من الاشكال زوج امك، ولا صديقك غير المخلص! افهمي ذلك جيداً! لم تكن لي اية علاقة مع ترودي! انها طفلة بدأت تتفتح للحياة، وهي بأمان اكثر معي. صدقيني، لم افكر يوماً بلمسها، حتى ولو لم يكونا والديها صديقان لي. اما بالنسبة للموديل... فانت تعلمين جيداً انواع الرسومات التي ارسمها. فكم تعتقدين انني استعمل الموديل للرسم؟ فانا بالكاد ارسم النساء في لوحاتي.»

جلست أمبير على السرير، ترتجف، ويديها على وجهها، همست: «جويل! اني آسفة! لم اقصد ان اقول لك هذا الكلام أنت محق. لا يمكن أن يكون هناك علاقة حب عابرة بيننا. فانا لا ازال اسبب لك الألم واتشاجر معك، وأنت لا تستحق مثل هذه المعاملة.»

انزلق على الأرض امامها وأمسك بيديها وقال: «امبير، قولي لي أمراً واحداً هل تحبينني؟»

أبعدت امبير نظرها عنه فهي لا تملك الحق لأن تربط مصيره بمصيرها. لو ان لديها الشجاعة لتقول له لا، لتبعده عنها وهكذا مع الوقت قد يجد فتاة ألطف، انسانة ناعمة وقلبها مليء بحب الحياة، وبدون كل هذه المشاكل التي تثقل عليها.

هز يديها قليلاً وقال: «أمبير؟ هل تحبينني؟»

شعرت بألم في حلقها، تجمعت الدموع في عينيها. همست بيأس: «ارحل، جويل عليك بالابتعاد عني.»

قال باصرار: «هل تشعرين بالحب نحوي؟»

سقطت دمعة حارة على يده، فحبس انفاسه وتحركت يداه إلى كتفيها: «اعترفي بها، امبير. هيا، قوليها!»

بيأس وحزن هزت رأسها بالنفي.

قال بغضب: «تباً لك يا امرأة، هل اخبرتني الحقيقة؟» وبعدها ضمها اليه ليقبلها بحب وحنان كبيرين.

حاولت ابعاده عنها لكنها لم تتمكن فقد كانت تحبه أكثر مما تعتقد، بعد مرور عدة دقائق سألها بصوت أجش: «والآن هل تقولين الحقيقة؟»

تنهدت امبير: «اني احبك... لكن ما كان عليك ان تدعني اقولها.»

سأل بغضب: «لماذا؟»

«انت دائماً تقول هذه: لماذا؟ كطفل في الثالثة من عمره؟»

«أنا لست بطفل في الثالثة من عمري، ويمكنني ان اثبت لك ذلك.»

ابتسمت بحزن ولمست شعره بأصابعها: «لن تتخلص مني بعد الآن، وسيكون من الأفضل لك لو احببت فتاة ألطف وأنعم...»

قال جويل: «ستكون حياتي مملة جداً، اعتقد كلانا لديه مشاكل كثيرة في شخصيته، ولا بد ان يكون هناك الكثير من الشجار وعدم التفاهم عندما نحاول التقرب في أمور كثيرة، لكنني بحاجة اليك، امبير وعندما نظرت إليّ بعد ظهر هذا اليوم بالتأكيد كانت نظرتك تدل على انك بحاجة لي. لذلك اعتقد ان علينا العيش معاً، آه؟ ومن الأفضل ان نحب هذه الفكرة.»

قالت بشك: «إذا كنت متأكداً انهذا ما تريده...»

«أنا أعرف. انني متأكد بأنني لا أريد ان اكون في أي مكان بعيد عنك. لقد افتقدتك كثيراً، افتقدت طبعك وحدتك، وكبرياءك العنيد. بالإضافة إلى كم من النساء لديها هذا الشعر الذي كان شعب التيتاني يموت ليحصل على لونه؟» اضاف بحزن: «كنت أعلم انك ستقصينه ما أن أدير ظهري.»

«لن أقصه بعد اليوم.»

«حقاً ستفعلين؟» لمس خدها وهو يتابع: «أمر رائع.»

قالت أمبير وهي تضع اصبعها على وجهه: «انك بحاجة أن تحلق ذقنك.» ابتسمت وهي تتابع: «لكنه ليس سيئاً كما كان أول مرة رأيتك فيها.»

قال: «هل تعتقدين انه يمكنك العيش معي؟ لأنني اريد الزواج منك. أنت تعلمين ذلك.»

قالت: «ستترك جواربك تحت السرير، ولن تنظف الصحون أبداً إذا استطعت، وستتجاهلين عندما ترسم، ما عدا أن تصرخ بوجهي كلما حاولت ان أطلب منك أن تأكل شيئاً...»

وأنت ستطلبين مني أن ارتدي كل يوم قميصاً نظيفة، وأن

أدفع الفواتير بموعدها وأن أكون لطيفاً مع زبائنك... اعتقد انك لن تتخلي عن المعرض؟»

قالت وكأنها تحلم: «اعتقد ذلك. سأبقى حاضرة لبيع أعمالك. يبدو الأمر وكأننا زوجان عاديان.»

قال جويل باصرار وفرح، وهو يضمها إليه: «يبدو الأمر رائع، أليس كذلك؟»

قالت أمبير، وهي تقترب منه: «انه يبدو كالحلم.»

تمت

www.elromancia.com